كان نصرانياً فأسلم

المنـــــارات الساطعـــــة

في

ظلمات الدنيا الحالكة

تأليف

محمد زكي الدين النجار

دراسة وتعليق

د. محمد بن عبد الله السحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي نصر عبده على جميع المعارضين والمعاندين.

والحمد لله الذي أظهر دينه على الدين كله رغم أنوف الكافرين.

والحمد لله الذي أتم نعمته على المسلمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, إله الأولين والآخرين,وقيوم السموات والأرضين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد :

فقد جعل الله الدعوة إلى سبيله وظيفة الأنبياء والمرسلين, وسبيل المصلحين, وأبان لهم منهجهم, فقال -سبحانه -: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ .[1] فساروا كما أُمِرُوا, وبذلوا في سبيلها الأموال والأرواح ؛ فاستحقوا الثناء من الله على صنيعهم, قال -تعالى - : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾[2]. وَوُعِدوا على ذلك الأجر الجزيل في الدنيا والآخرة, قال -جل ثناؤه -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾[3]. وهيأهم -سبحانه - لما سيلاقونه في هذه الدنيا من ابتلاء ومحن, فقال

(١) سورة الأنعام , الآية ١٥٣.

(٢) سورة فصلت, الآية٣٣.

(٣) سورة فصلت ,الآية٣٠.

-تعالى ذكره - : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ ﴾[١]. وأخبرهم أن الصراع بين الحق والباطل باق ما بقيت حياة في هذه الدنيا,قال -سبحانه - : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ ﴾[٢].

وفي خضم الصراع بين أولياء الرحمن أتباع الحق, وبين أولياء الشيطان أتباع الباطل - تمتلئ صدور أهل الباطل, وتضطرب أفهامهم, وتعشى أبصارهم, وتعظم فيهم الحمية للدين - ولو كان ضلالة - ويظهر فيهم تعظيم الأسلاف ـ ولو كانوا لا يعلمون شيئاً ، ولا يهتدون ـ ومع ذلك لا تخلو صفوفهم من حائر يبحث عن هداية, وعاقل يطلب مخرجاً, ومفكر يتلمس الصواب, فيسأل الله الهداية, ويرجو منه التوفيق, فيعمد إلى ما توارثه عن أسلافه من كتب وعقائد وعبادات, فيخضعها للتمحيص والتدقيق, ويعرضها على بصيرته وفطرته, ويوازن بينها وبين غيرها ؛ فيمن الله عليه بمعرفة الحق, ويهديه إلى الصواب, ويمده بالحجج, ويقيم له البراهين ؛ فحينئذ يعلن إسلامه,ويفرح بإيمانه, ويبذل نفسه دعوة إلى دينه, وكشفاً وفضحاً لباطل كان يعتقده حقاً حيناً من الدهر, ومن هؤلاء محمد زكي الدين النجار صاحب هذا الكتاب : ((المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة)) الذي كان نصرانياً فأسلم, واقتفى أثر تلك العصابة من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا وحسن إسلامهم, وألفوا المصنفات التي تنافح عن الإسلام, وتدعو إليه, وتحذر من النصرانية ، وتعريها ، وتظهر عوارها,وتهتك أستارها... فكانت كتبهم نبراساً

---

(١) سورة العنكبوت, الآيتان ١ ، ٢.

(٢) سورة البقرة, الآية ٢١٧.

ومعلماً يهتدى بها وينهل منها , فقد أفاد منها كثير من المتقدمين والمتأخرين في هذا المضمار[(١)], كما كانت - أي كتب المهتدين - شجاً في حلوق المدافعين عن النصرانية, وسيفاً مصلتاً على رقابهم, كيف لا ؟ والكُتَّاب من أحبارهم, فهم أدرى من غيرهم بمواضع الغمز, ومواطن العجز, وثغرات الضعف, وتناقضات الحرف.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا (المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة) انقطعت به السبل وطواه النسيان؛ فأحببت أن أضعه على جمر النشر؛ ليفوح شذاه, وأن أبثه بين طلاب العلم؛ ليعرف جميل ما احتواه, وأن أعلق على ما يحتاج إلى تعليق, فالقلادة تزين الصدر, والأذن تحلو بالقرط, فإن وفقت فمن الله -وله الحمد والمن - وإن كانت الأخرى فنسأل الله المغفرة عن الزلل، والصفح عن الخلل, ولا يخفى على طالب العلم ما قاله العتابي : (من قرض شعراً أو وضع كتاباً؛ فقد استهدف للخصوم, واستشرف للألسن, إلا عند من نظر فيه بعين العدل , وحكم فيه بغير الهوى, -وقليل ما هم)[(٢)] فنسأل الله أن يوفقنا للعدل قولاً وفعلاً ومسلكاً, وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم, موافقة لهدي سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم - وأن يكتب لنا القبول، ويمدنا بالتوفيق, والحمد لله رب العالمين, وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

محمد بن عبدالله السحيم
الرياض ١٣/٥/١٤٢٤هـ
ص.ب: ٢٦١٠٣٢
الرياض: ١١٣٤٢

(١) انظر: مسلمو أهل الكتاب, ج٢,ص ٨٠١ -٨٩٧.
(٢) العقد الفريد ,ج١,ص٣.

التعريف بالمؤلف [*]

نسبه ومولده ونشأته :

اسمه : محمد زكي الدين النجار.[١]

قبطي معاصر, عاش في طهطا من صعيد مصر, لا يعرف عنه إلا النذر اليسير كحال آلاف المغمورين الذين يفدون إلى هذه الحياة ثم يغادرونها, ولم يدون عنهم حرف,ولم تشملهم كتب التراجم, ولم يكن لهم نصيب من الرصد والتتبع. وكل ما حصلت عليه عن حياة هذا الرجل معلومات يسيرة, لا

---

[*] ما ورد في هذا التعريف منقول من كتابي : مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية.

(١) المراجع التي تم الاعتماد عليها عند كتابة هذه الترجمة هي : -

١ - ما تضمنه كتابه هذا ((المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة)) وكذلك تقديم للكتاب بقلم الشيخ محمد أحمد العروسي كتبه في ١٥/١/١٣٦٩هـ.

٢ - ذكره الأستاذ محمد الطهطاوي في ثلاثة من كتبه هي :

أ - في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام.

ب - بشائر الرسالة المحمدية.

ج - في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين. وكل المعلومات الواردة في هذه الكتب متماثلة ومختصرة جداً.

٣ - مقابلة تمت في الجامع الأزهر صباح يوم ١٤١١/١٠/٢٨هـ بيني وبين أحد المشايخ الفضلاء، وهو الشيخ عبد الرحيم عبد الجابر محمود, من بلدة طهطا , وقد درس فضيلته هو وهذا المهتدي في معهد طهطا الديني ما بين عامي ١٩٤٩م - ١٩٥٢م, ثم واصل دراسته حتى تخرج في كلية أصول الدين في الجامع الأزهر, ويعمل فضيلته الآن إماماً لمسجد السباعي ببولاق في أحد أحياء القاهرة.

وغالب المعلومات التي وردت خلال هذه الترجمة مصدرها هذه المقابلة.

تروي ظمأ الباحث ورغبته في الإحاطة بسيرته ؛ للاستفادة منها وعرضها أمام القارئ، وفق ما كنت أطمح إليه.

ومن هذه المعلومات التي تيسرت لي أنه ولد في أوائل القرن العشرين في بلدة طهطا من صعيد مصر، وأنه نشأ في هذه البلدة، وترعرع بها، وتلقى التعليم في مدارسها، حتى التحق بالكنيسة، وتدرج في وظائفها الكنسية، حتى أصبح قساً، وكان يحب أهل العلم والمعرفة من متعلمي بلده، وله علاقات متعددة بكل ما يمت للعلم بصلة، مشتغلاً بالنجارة ؛ ليستغني بكسبه عما في أيدي الناس، شغوفاً بالبحث في الكتب السماوية، مكثراً من تلاوة القرآن وتدبر آياته التي تنفي ، أو تثبت ما جاء في هذه الكتب السابقة، وأخذت ملكة البحث هذه تزداد عنده وتنمو ، حتى استولت منه على كل تفكيره، وكادت تقطعه عن عمله الصناعي، لولا أن الله تداركه بلطفه ؛ فنفذت بصيرته، وهداه الله إلى الإسلام، فكان إسلامه نتيجة قناعة تامة، أداه إليها البحث والموازنة والتمحيص.

وقد أزعج إسلامه الكنيسة، فحاولت إغراءه بمختلف الوسائل والطرق، إذ حاولوا أن يزوجوه بامرأة من أكبر الأسر النصرانية، أو أن يعطوه من المال ما يريد، أو أن ينصبوه في أعلى المناصب الكنسية... ورفض كل هذه العروض، واعتصم بإيمانه، والتحق عام١٩٤٩م بمعهد طهطا الديني، حتى تخرج فيه، وكان له نشاط دعوي في بلده، ولكن لكثرة العلماء فيها وطلبة العلم ؛ لم يبرز نشاطه كثيراً، ولبس العمامة والجبة ؛ ليتزيَّا بزي العلماء، وكان لباسه لباس الفقراء لا يغالي فيه، هيناً ليناً صالحاً محباً لدروس العلماء.

ثم التحق بجماعة الإخوان[١] فترة, وكان يحضر جلسة الثلاثاء من كل أسبوع, ولما حصلت للإخوان النكبة[٢] في أيام الثورة, نزعت نفسه إلى التصوف, فكان يميل إلى مجالسهم.

ورغب في الزواج من إحدى الأسر الكبيرة المصرية المسلمة ؛ ولكن العادات والتقاليد حالت دون تحقيق ذلك, وظل عزباً إلى أن توفي, وكان يقرض الشعر, وقد وظفه في الدفاع عن الإسلام, ومهاجمة خصومه.

مصنفاته: وصل إلينا منها كتابه هذا ((المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة)) ذكر في آخره أسماء بعض مؤلفاته التي وعد أنها ستظهر قريباً ، وهي:-

١ - منقذ الإنسانية من نير العبودية.

٢ - قانون الحياة ودستور الخلود.

٣ - فوهة المسدس في قلب الكتاب المحرف.

٤ - الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الأقانيم.

٥ - رد فرية المبشرين في حديث الغرانيق، وزواج السيدة زينب بسيد المرسلين.

٦ - هداية الناشئين في تعلم مبادئ الدين.

٧ - معجزات محمد -صلى الله عليه وسلم - في القرن العشرين.

---

(١) لمزيد من العلم بهذه الجماعة ((الإخوان)) انظر :الطريق إلى جماعة المسلمين, رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية, من إعداد حسين بن محسن جابر, نشر دار الدعوة الكويت, ط٢, ١٤٠٦ هـ, ص٣٣٧ -٤١٦.

(٢) انظر تفاصيل هذه الحادثة في كتاب :الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ١٩٥٢م١٩٨١م, تأليف د. زكريا سليمان بيومي, نشر مكتبة وهبة, ط١, ١٤٠٨هـ.

وفاته: لم أجد من أشار إليها, ولما سألت فضيلة الشيخ عبد الرحيم عبد الجابر عن تاريخ وفاته, قال: إنني ارتحلت عن طهطا, وانقطعت الصلة بيني وبينه, ولم أعلم متى توفي, وذكر أن الناس يثنون عليه خيراً بعد وفاته.

البيئة التي نشأ فيها:

نشأ في أسرة قبطية في ظل المجتمع المصري, الذي يسود الدين الإسلامي أغلبيته, وتعد الطائفة القبطية أقلية محدودة, مبثوثة بين أفراده, وهذه الطائفة - بحكم معايشتها لهذه الأجواء الإسلامية - نجد أنها متأثرة بها من حيث اللسان والمعارف والثقافة والأخلاق والانتماء, وهذا التعايش والتقارب بينهما في المدرسة والسوق والمتجر .... سهل التأثر والتأثير بينهما؛ فنجد أن عدداً من المسلمين هناك - مع الأسف- يشاركون، أو يحتفلون بعدد من أعياد النصارى, كما نجد كثيرين من أبناء هذه الطائفة يدخلون في الإسلام بعد تروٍّ وقناعة ويقين؛ الأمر الذي حدا بالكنيسة إلى أن تمارس نوعاً من الحيل, الغرض منها الحماية والحصانة؛ إذ يقوم في بعض الكنائس رجل نصراني, ويتزيّ بزي بعض المسلمين, ويخطب في الحاضرين، ويفيدهم بأنه كان من خيار المسلمين, ثم هداه الله إلى النصرانية[1] ولم تلجأ الكنيسة إلى هذا التصرف؛ إلا بسبب انزعاجها من هذا التسرب في صفوف أبنائها إلى الجانب الآخر.

ولقد عاشت هذه الفئة القليلة مع الأكثرية المسلمة في سلام ووئام, ولا يوجد في مصر تفرقة طائفية ضد الأقباط... إذ الكتاتيب والمدارس مفتوحة لهم, وكذلك الأقاليم التي تزيد فيها نسبة السكان من الأقباط تعين الحكومة

(١) مجلة الإسلام المصرية, عدد٣٢, عام ١٣٥٨هـ , ص٢٣.

للمدارس القبطية إعانات لها أثرها, وإن تاريخ الأقباط يكشف عن أنهم عانوا ضيماً من أهل ديانتهم النصارى الأرثوذكس أو الكاثوليك, أكثر مما عانوا من أهل وطنهم المسلمين[١] حتى إذا جاء الاستعمار البريطاني أيقظ الفتنة بينهما لمصلحته, فأشعل فتيل الخلاف بين الفرق النصرانية في مصر, كما حاول القضاء على الوجود القبطي في مصر (ففي السبعينات من القرن التاسع عشر حاولت الإرساليات الأمريكية والفرنسية القضاء على الكنيسة القبطية, وإن لم يتيسر ذلك فبالإبقاء عليها والتغلغل فيها وبسط السيطرة عليها, ونشر المذهب الكاثوليكي أو البروتستانتي في مصر, ونشر المدارس الدينية لهذا الغرض, إلا أن الكنيسة القبطية وقفت صامدة أمامه, ومنعت القبط من إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس)[٢] ولعل مرد هذا التدخل الغربي في شؤون الأقباط في مصر إلى ما يأتي:-

١ - الخلاف المذهبي بينهما.

٢ - توسعة دائرة الخلاف والشقاق بينهم، حتى يغفل المستعمَر عن المستعمِر.

٣ - الرغبة في إجبارهم على الارتماء في أحضانهم.

كما أن الاحتلال البريطاني (كرس الشقاق الطائفي الديني في مصر)[٣]. وهذه إحدى قواعد الاحتلال البريطاني في أي موقع يحل فيه, وهي سياسة (فرق تسد)؛ حتى تتحقق له أهدافه من خلال انشغال الطائفتين عنه, وقد سلكوا عدة أساليب في إذكاء هذا الخلاف، فمنها على سبيل المثال:-

---

(١) انظر: المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية,تأليف طارق البشري , نشر الهيئة العامة للكتاب, ١٩٨٠م , ص٤٢.

(٢) انظر المصدر السابق, ص٣٣ -٤٠,وص١١٠ -١١١.

(٣) سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية , تأليف مصطفى النحاس وجبر يوسف , نشر الهيئة العامة للكتاب,١٩٧٥م,ص٩٩.

١ - رَدُّ بعض مظاهر تخلف الأقباط إلى اضطهاد المسلمين لهم.

٢ - أي مطالبة وطنية الهدف منها طرد المستعمر توصف بأنها حركة تعصب إسلامي ؛ حتى يخفف حدتها, ويكسر سورتها, ويزيد الفجوة بينهما.

٣ - أي حادث اغتيال سياسي داخل أرض مصر, ويكون الضحية فيه قبطي ؛ يوصف بأن الدوافع له والبواعث عليه هي الدوافع الدينية(١).

وكان من وسائله -لتحقيق هذه الغاية - المنابر الإعلامية المتاحة في ذلك الوقت من إذاعة وصحافة (وظهر نوع من اصطناع الخلاف بين الأقباط والمسلمين كان ميدانه بعض الصحف من الجانبين)(٢), ولفصل هذه الأكثرية المسلمة عن الأمة الإسلامية وعن الارتباط بالخلافة العثمانية حاول المستعمر تنمية الشعور القومي, وذلك بتشجيع الأحزاب والهيئات والمؤلفات التي تنادي بتعميق هذا الولاء والانتماء, وباحتواء بعض الأقباط الذين ساهموا في إشاعته ونشره.(٣)

التنصير في مصر :(٤)

---

(١) انظر المصدر السابق, ص٩٧ -١٢١.

(٢) المسلمون والأقباط, ص٥٩.

(٣) انظر : مصر الحديثة بين الانتماء العقائدي ..والقومي , تأليف د. زكريا سليمان بيومي, نشر مكتبة وهبة , ط١, ١٤٠٣هـ,ص٣٦ -٤٢.

(٤) لمزيد من العلم بالتبشير في مصر انظر : المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي, للمهتدي إبراهيم خليل أحمد, نشر مكتبة الوعي العربي, وملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي, تأليف د. إبراهيم عكاشة علي, نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, ١٤٠٧هـ, والإرساليات التبشيرية, تأليف د. عبدالجليل شلبي, نشر منشأة المعارف, الإسكندرية, والتبشير والاستعمار في البلاد العربية, تأليف مصطفى خالدي وعمر فروخ,نشر المكتبة العصرية, بيروت,١٩٨٦م.

أسلفت القول - من قبل - أن هذا المجتمع قبل دخول الاحتلال عاش في سلام بين طائفتيه, ومع وصول الاحتلال كرس الشقاق الطائفي بينهما, هذا من جانب, ومن جانب آخر حاول فرض مذهبه ودينه على هؤلاء المستعمرين، سواء كانوا مسلمين أم أقباطاً من خلال الإرساليات التنصيرية التي استغلت نفوذ المستعمر وبسط هيمنته؛ فوسعت نشاطاتها بين السكان (فمنذ أن فرضت عليها الحماية البريطانية في أواخر عام ١٩١٤م,وهذه الحماية تراعي نشاط الإرساليات التنصيرية العالمية, بل وكانت حامية لها, مما أتيح لهذه الإرساليات أن تضاعف من نفوذها, ولقد ساعد هذا التزايد في النفوذ التنصيري سلطة الامتيازات الأجنبية في إطلاق الحرية لها في العمل دون أن يكون في مقدور الحكومات المصرية المتعاقبة -إلى عام ١٩٣٥م - إلزامها بشيء, أو حتى الإشراف عليها)[١] وقد شارك في هذا النشاط التنصيري الكنيسة المصرية, عن طريق الممارسة غير المباشرة, وحصل رئيسها على جائزة عالمية؛ تقديراً لجهوده التنصيرية بين المسلمين, كما عقدت مؤتمرات سرية وعلنية, واستحدثت مراكز اجتماعية مشبوهة للعمل في الأحياء الفقيرة, كما ساهمت في دفع بعض أفراد النصارى الأقباط إلى القيام بأعمال تنصيرية فجة, فقد استطاع المنصر ((زويمر)) أن يحصل على تصريح بدخول المساجد بصفته مستشرقاً... فدخل الجامع الأزهر, ووزع بعض الرسائل التنصيرية بين طلابه, وذلك في عام ١٩٢٦ م. كما شارك الكنيسة القبطية في التنصير الجامعةُ الأمريكية؛ وأخذت على عاتقها مهمة العمل التنصيري في مصر.[٢]

(١) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر, دراسة وثائقية , تأليف د. خالد محمد نعيم , نشر كتاب المختار, القاهرة, ص١٩٣.
(٢) المصدر السابق, ص ٢٠١.

الاستقلال: وفي منتصف القرن العشرين أحس الجميع بثقل يد المستعمر وشدة وطأته, ورغبوا في دفعه ورفعه, واشتد ساعد الحركة المعادية للاحتلال, ونما النشاط السياسي, واضطر الإنجليز إلى الاعتراف باستقلال مصر بعد ثورة عام ١٩٥٢م, وقد شارك في هذه الثورة المسلمون والأقباط... فبقيت الأمة عابدة لربها, مقتفية سنة نبيها صلى الله عليه وسلم - في العموم الغالب - كل يوم يمر عليها تظهر فيها بشائر الصحوة, ويقوم الأزهر فيها بعمل ريادي في محاولة إعادة الحياة إلى ما كانت عليه قبل الاستعمار.

هذا هو حال الأكثرية المسلمة بعد الاستقلال, ولكن ما وضع الأقلية القبطية بعد رحيل الاحتلال؟ لقد ظلت هذه الأقلية بعيدة عن السياسة والحكم, تمارس عبادتها وطقوسها تحت رعاية الكنيسة, حتى إذا أشرفت الستينات الميلادية من هذا القرن, وأشرقت معها تباشير الصحوة الإسلامية, ومطالبتها بحقوقها الدينية والسياسية؛ صاحب ذلك تحرك سياسي قبطي لمشاكلة التحرك الإسلامي ومشاركته, ورفض المحافظون منهم هذا التحرك, حتى ألجأهم الشباب القبطي إلى ضرورة العمل السياسي؛ فأنشأوا جمعية الأمة القبطية عام ١٩٥٢م, وظل هذا التيار ينمو، ويتدرج حتى كان عام ١٩٧٠م (فحدثت فتنة طائفية أدت إلى تدخل الدولة, واللجوء إلى المواجهة العلنية مع الزعامة القبطية, واتهامها بمحاولة جعل الكنيسة سلطة داخل الدولة, واستعداء القوى الأجنبية ؛ للتأثير فى التوازن بين الأقباط والمسلمين ... إنها المرة الأولى التي يكشف فيها النقاب بشكل رسمي عن مخطط لإقامة دولة مستقلة للأقباط)[1].

---

(١) الفتنة الطائفية في مصر جذورها وأسبابها, تأليف جمال بدوي, نشر المركز العربي للصحافة, القاهرة,ص٩ -١٠.

الدوافع التي أثرت فيه حتى أسلم:

الدوافع التي تدفع أهل الكتاب للدخول في الإسلام كثيرة ومتعددة, إذ هو الفطرة التي فطر الناس عليها, هذا فضلاً عن وجود خبره وخبر نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم - في كتبهم, إما تصريحاً أو تلميحاً أو إلزاماً. ومنها أيضاً: وضوح أدلته وقوة براهينه, وشمول أحكامه ويسرها, وحفظ كتابه ـ المعجز في كل جوانبه ـ أن تناله أيدي العابثين بالتحريف أو الزيادة أو النقص. ولقد ذكر هذا المهتدي سبب إسلامه, ولكنه لم يؤرخ هذا الحدث, كما ضمّن هذا السبب بعض الدوافع التي دفعته إلى الإسلام, كما استطعت أن أستنبط بعضاً منها أيضاً من خلال ما وصل إلي من معلومات, وهي كالتالي : -

١ - البحث والموازنة والدراسة, كل ذلك قاده إلى الحقيقة, وهداه ـ بعد توفيق الله ـ إلى الصراط المستقيم, إذ يقول : (إن إسلامي لم يأت طفرة واحدة, ولم يكن ابن يوم وليلة, بل كان نتيجة بحث وتنقيب ؛ بغية الوصول إلى الحقيقة, فاطلعت على القرآن الكريم، بعد دراستي للتوراة والإنجيل, وأردت أن أدون ما وصلت إليه أبحاثي في هذه الكتب من الحقائق التي هدتني إلى الصراط المستقيم)[١] وبيَّن أن وسيلته إلى ذلك هو التخلي عن التحزب الممقوت, والعصبية العنصرية, وامتحان ما توارثه عن آبائه وأسلافه, وأنه يجب عليه البحث عن الحق, والمسارعة إليه، واتباعه، والعمل به.[٢]

٢ - وضوح الحق في الإسلام, وتظافر الأدلة عليه: (فإذا تصفحت عجالتي هذه بروية وإمعان ؛ وضح الحق لديك بالبرهان, وظهر جلياً للعيان,

---

(١) انظر ص (٣٣) من هذا الكتاب.

(٢) انظر ص (٣٤) من هذا الكتاب.

ووجدت نفسك منساقاً إلى اليقين)[١]. هذا بالإضافة إلى أنه سمى كتابه ((**المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة**)) وجعل كل منارة تؤدي إلى أختها, مما يدل على قوة الأدلة التي أرشدته إلى الهداية, وترْك دينه ودين آبائه وأجداده.

٣ - تلاوة القرآن: قبل أن يسلم كان كثيراً ما يطلع على القرآن الكريم,ويتدبر معانيه, ويتأمل ما تضمنه من عقائد وأحكام وأخبار, وبالتأكيد أن هذا الاطلاع والتلاوة للقرآن, أمكنه -بفضل من الله - أن يقابل بينه وبين ما عهده من كتب دينه, فيقابل بين عقائده وعقائدها,وأحكامه وأحكامها, وأخباره وأخبارها ؛ليخرج بنتيجة أن ما تضمنه القرآن تنساق إليه الفطرة, وترغب إليه النفس, وتأنس به الروح, وبه تستقيم الحياة , وعليه يصلح أمر الدنيا والآخرة.

٤ - مخالطة العلماء: كانت بلدته ((طهطا)) محل إقامة كثير من العلماء, ومقصد كثير من المرشدين الذين يعلِّمون الناس الخير, ويهدونهم إلى الصراط السوي, وأنعم الله على هذا المهتدي بأن جعله محباً لمخالطتهم ومجالستهم -حتى قبل إسلامه - فدفعه ذلك إلى البحث والتحقيق بنفسه عما يسمعه منهم ، ويجده لديهم, فقاده ذلك إلى الإسلام .

٥ - التخلي عن التعصب الممقوت: يفوت الإنسان من الخير بقدر ما يتمسك بما معه من الباطل, ويتعسر عليه الوصول إلى الحقيقة إذا جمد على ما توارثه عن آبائه وأسلافه من غير تمحيص وعرض على النقل الصريح والعقل الصحيح, يقول هذا المهتدي موضحاً هذا الجانب: (الإنسان مكلف أن يبحث عن أقرب طريق موصل للخير؛ ولنيل ذلك يجب أن يتخلى عن التحزب الأعمى الممقوت والعصبية العنصرية, ويضع ما كان عليه آباؤه وأجداده على

---

(١) انظر ص (٣٤) من هذا الكتاب.

بساط البحث والتنقيب, فإذا من الله عليه بمعرفة الحق قام فسارع مبادراً إلى اتباعه)[١]

العقبات التي واجهته بعد إسلامه :

١ - لم تقف الكنيسة مكتوفة الأيدي إزاء إسلامه، بل حاولت جاهدة أن تصده عن الإسلام، وأن تثنيه عما عزم عليه؛ فعرضت عليه أصناف متاع الدنيا، إذ عرضت أن توليه ما يشاء من المناصب الكنسية، أو أن تعطيه من المال ما يريد، إذا وافق على أن يتخلى عن إسلامه، ويعلن أوبته إلى ظلمات النصرانية, لكنه آثر الحق على الباطل، وآثر الآخرة على الدنيا، وآثر النور على الظلمات.

٢ - لم يرضَ بإغراءات الكنيسة، وجاهد لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وسعى عاجلاً لإخراج أول كتبه بصورة مختصرة [٢] ليبين الحق فيه, ويفضح الزيف، ويعريه, ودفع هذا الكتاب إلى صاحب المطبعة لطباعته -وكان صاحب المطبعة رجلاً نصرانياً[٣] - فلما علمت الكنيسة أوفدت إليه وفداً لمنعه, ولكنه رفض, ثم عرضوا عليه من المال أكثر مما سيربح من وراء طبع هذا الكتاب, فرفض، وطبع الكتاب، وانتشر بين الناس.

٣ - بعد مضي مدة على إعلان إسلامه, رغب في أن يكمل شطر دينه بالزّواج من امرأة مسلمة, تشاطره أفراحه, وتحمل معه أتراحه, ولكنِ العادات والأعراف المتبعة في بلده حالت دون تحقيق ذلك, فلو كان عابداً لله على حرفٍ, أو كان إسلامه مدخولاً فيه؛ لوجد الشيطان إليه من هذه العقبة طريقاً ينفذ إليه منه, ولكنه صبر واحتسب, وتوفي، ولم يتزوج.

---

(١) انظر ص (٣٤) من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص (٣٣) من هذا الكتاب.

(٣) هو لبيب رفلة صاحب مطبعة الفنون الجميلة في طهطا.

القيمة العلمية لكتابه ((المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة)) :

من خلال بحثه وموازنته ومقابلته النصوص بعضها ببعض ؛ توصل إلى عدد من النتائج والحقائق التي أرشدته إلى الصراط المستقيم, وقد اجتمع لديه ـ نتيجة لذلك ـ كتاب كبير يحتوي على أكثر من اثنين وعشرين بابا[١], ثم استخلص منه هذه الرسالة التي بين أيدينا, وهي تقع في مائة صفحة من الحجم المتوسط, أتم المؤلف كتابتها في ١٣٦٩/١/٢٧هـ, وطبعت أول مرة في العام نفسه.

هدف تأليف الكتاب: قد أوضحه في بداية كتابه، فقال: (أردت أن أدون ما وصلت إليه أبحاثي في هذه الكتب من الحقائق التي هدتني إلى الصراط المستقيم ؛ أرجو بها الرضوان من رب العالمين).[٢]

محتوى الكتاب: قسم المؤلف كتابه تقسيماً بديعاً، سمى كل قسم منه ((منارة))، وهذه المنارات كل واحدة منها مرتبطة بما بعدها ارتباط الفرع بأصله, متناسقة فيما بينها, كل واحدة تؤدي إلى الأخرى, قد استطاع أن يضمنها ما أراد إبلاغه لغير المسلمين من الدلالة على الحق والإرشاد إليه. وابتدأ هذه المنارات بحكمة بدء الخلق وتكوينه, وثنى بحكمة خلق آدم وحواء من تراب, ثم ثلّث بحكمة خلق حواء من ضلع آدم, وفي المنارة الرابعة والخامسة

---

(١) انظر ص (٣٣) من هذا الكتاب.

(٢) انظر ص (٣٣) من هذا الكتاب.

تحدث عن نشأة عيسى -عليه السلام - أما المنارة السادسة فقد خصصها للأنبياء المرسلين أمام سيد الأنبياء, ووازن في المنارة السابعة بين خلق يحيى وعيسى -عليهما السلام - وأورد الشواهد الظاهرة لزوال النبوة من نبي إسرائيل في المنارة الثامنة, وخصص المنارة التاسعة لنماذج من البشارات الواردة بمحمد -صلى الله عليه وسلم - في التوراة والإنجيل,وفي المنارة العاشرة والحادية عشرة أثبت تصريح الأناجيل بحفظ عيسى -عليه السلام - من الصلب, ووقوع الشبه على غيره, كما أشار إلى حكمة رفعه إلى السماء.

وكان ختام هذه المنارات مسكاً ؛ إذ أورد فيها أدلة حفظ القرآن من أقوال الجن والكهان. وأنت من خلال استعراضك لهذه المنارات واجد مدى التلازم بينها ، والتعاضد لإقامة الدليل ونصب الحجة والدلالة على الطريق السوي, الذي هدي إليه ، وحرص على إرشاد غيره إليه.

منهجه : التزم المؤلف خلال تدوينه لكتابه الموضوعية التامة ؛فترك التحزب الأعمى والعصبية والعنصرية جانباً, ووضع ما كان عليه آباؤه وأجداده على بساط البحث والتنقيب, والتزم أنه إذا تبين له الحق أن يسارع إلى اتباعه والعمل به, ولو كان في ذلك مفارقة النفس والوالدين والمال, بل الدنيا كلها.[١]

كما التزم الأمانة العلمية في نقله للنصوص محل الاستشهاد, والإرشاد إلى مصادرها, وعدم اعتساف الأدلة ، أو تأويلها لمصلحة ما يعرض من قضايا أو آراء, وجعل لحمة هذا الكتاب وسداه خلاصة ما توصل إليه من حقائق خلال اطلاعه على القرآن الكريم ، ودراسته للتوراة والإنجيل.

---

(١) انظر صفحة (٣٤) من هذا الكتاب.

القيمة العلمية : يستطيع طالب العلم أن يكتشف القيمة العلمية لهذا الكتاب بعد اطلاعه عليه, وسيجد أنها متعددة الجوانب, فمنها :

١ - كون المؤلف كان قسيساً نصرانياً، ثم أسلم، وألف هذا الكتاب ؛ ليدلل على أن ما اختاره لنفسه هو الحق, وأن ما عداه هو الباطل, ويقيم الأدلة, ويبسط الحجج, ويسوق البراهين على ذلك ؛ حرصاً منه على هداية النصارى إلى الإسلام, هذا من جانب, ومن جانب آخر قوة الأدلة التي استدل بها وبراعته في توظيفها لما يريد نفيه أو إثباته.

٢ - هذا الكتاب موجه بالدرجة الأولى لهداية النصارى إلى الإسلام[١], ولو لم يكن أصاب المحز, وقطع المفصل لما انزعجت الكنيسة منه وحاولت منعه وإغراء صاحب المطبعة بعدم طبعه.

٣ - بخبرة العالم بنصوص التوراة والإنجيل ومدلولاتها, حاول الموافقة والمطابقة بينها وبين القرآن فيما يريد نفيه أو إثباته[٢] ؛ ليبين للقارئ مدى التطابق بين هذه الكتب في القضايا محل النزاع, وقد كان بارعاً وموفقاً في ذلك.

كما حاول الربط بين ما تضمنته النصوص القرآنية من حقائق ودلالات عن الكون من حولنا, مع ما ورد في الكتب العلمية من حقائق ؛ ليكون ذلك أدعى للقبول والتلقي, في عصر غلبت فيه الفتنة بما أنجزه العلم.

٤ - حاول البحث والتعليل واستقصاء الأسباب حسب اجتهاده, ويتضح ذلك من خلال محاولته التعرف على الحكمة من خلق آدم وحواء وعيسى -عليهم السلام - على غير مثال سابق, ومن خلال ذكره لأسباب

---

(١) انظر ص (٣٣) من هذا الكتاب.

(٢) انظر الصفحات التالية من هذا الكتاب : ٦٧, ٨٧, ١٠١, ١٠٢.

إخبار الملك لمريم عن هذا الحمل, وأسباب الحمل بيحيى -عليه السلام - وغير ذلك كثير[١].

٥ - لعل من أهم الجوانب التي تعطي هذا الكتاب قيمته, أن اهتداء المؤلف للإسلام وكتابته لهذا الكتاب جاءت في وقت بلغت فيه الأمة الإسلامية غاية الضعف والهوان, فبالنظر إلى تاريخ تأليفه نجد أنه عام ١٣٦٩هـ, أي بعد سقوط الخلافة العثمانية بـ ٢٨سنة فقط, وفي هذا الوقت بالذات كان الاستعمار الغربي النصراني محتلاً لأكثر الدول الإسلامية, بما فيها الدولة التي ينتسب إليها المؤلف, فكان اهتداء المؤلف في هذا الوقت بالذات, وتأليفه لهذا الكتاب صفعة في وجه النصرانية المستأسدة في العالم الإسلامي ؛ليقول لها بلسان الحال والمقال: اربعي على نفسك ؛ فإن الحق هاهنا, وإن الباطل بين يديك ومن خلفك.

٦ - أن هذا الكتاب مع طبعه منذ زمن ليس بالقريب, ومع عدم توفر نسخه[٢] إلا أن ذلك لم يمنع الاستفادة منه, فقد أفاد منه المستشار محمد عزت الطهطاوي في ثلاثة من كتبه,حيث اختصر جل الفوائد العلمية التي وردت في المنارات التي نصبها النجار في كتابه, وضمنها كتاب ((في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين))[٣],كما نقل عنه دور بولس في هدم النصرانية[٤], واستشهد بقوله في إثبات إحدى البشارات بالنبي -صلى الله عليه وسلم - من الإنجيل.[٥]

---

(١) انظر الصفحات التالية من هذا الكتاب: ٤٤, ٥٤, ٥٩, ٦٣, ٨٧, ٩٦, ١٢٨.

(٢) لم أستطع الحصول على نسخة منه إلا بعد بحث شاق وطويل عن طريق الاستعارة من أحد الأساتذة الفضلاء في مصر, فله مني أوفر الشكر.

(٣) انظر: ص ١٥٣ -١٥٨.

(٤) انظر: مقارنة الأديان النصرانية والإسلام, ص٢٧٧.

(٥) بشائر الرسالة المحمدية , ص٥٣.

المآخذ على الكتاب:

١ - قال في ص٢٥: (ويحمل إلينا الأثير الأنباء العلمية التي تنير عقولنا, قال -تعالى -: ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝ ﴾, وكذلك الأخبار السياسية والتجارية وغيرها, وتحمل إلينا الألحان المطربة التي تشفي الأمراض العصبية، وتزيل الأحزان)[١].

يؤخذ عليه في هذا النص أنه فهم من الآية المذكورة آنفاً: أن (الملقيات) هي الوسائل الحديثة التي تستخدم موجات الأثير, والمعنى الصحيح للآية أنها الملائكة, كما يؤخذ عليه ظنه أن الألحان تشفي الأمراض، وتزيل الأحزان.

٢ - يؤخذ عليه اجتهاده في استقصاء الأسباب المادية في حمل مريم -عليها السلام - بعيسى -عليه السلام - بدون ملاقاة زوج, فذكر أن ذلك بسبب الطعام الذي أطعمها الله إياه؛ لأن المرأة البالغة القوية الكاملة إذا توفرت فيها الغدد المؤدية لكمال الرتبة الإنسانية -في ظنه - يجوز أن تحمل بدون ملاقاة الزوج. وفي هذا تمحل وتكلف لا طائل من ورائه؛ لأن الآيات الخارقة للسنن المعهودة التي يقيمها الله للدلالة على أمر ما, ينبغي حيالها التسليم الكامل, وعدم التكلف والتمحل في ربط هذه الخوارق بأسباب مادية أرضية.

٣ - ويؤخذ عليه أيضاً تشبيهه المسيح -عليه السلام - بالملائكة؛ نظراً لنشأته، والرفع المخالف للمألوف إلى السماء. وفي هذا غلو في المسيح؛ لأن الله -سبحانه وتعالى - يقول: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾[٢] فشبهه بأصله.

---

(١) ورد هذا في ص (٥٧) من هذا الكتاب.

(٢) انظر ص (١٣٣)من هذا الكتاب , والآية (٥٩) من سورة آل عمران.

لماذا أخرجت هذا الكتاب:

١ - يعد هذا الكتاب وثيقة إدانة للديانة النصرانية؛ لأن مؤلفه قضى شطراً من عمره متتلمذاً على أحبارها, ومتعبداً على ضوء شرعها ومنهاجها, ومدافعاً عنها, وداعياً إليها.... ثم تهتكت أمام ناظريه أستار الباطل, وافتضحت أمامه أسرار دينه المحرف, وزالت عن بصيرته غشاوة الزيف.... فاستبان له وجه الحق, ولاحت أمام عينيه منارات الهدى, فانقاد إليها مستسلماً مختاراً, فرحاً مسروراً.

ولإدراكه لأهمية هذه النُّقْلة, وتقديره لقيمة الأدلة التي عثر عليها, ومعرفته بحاجة الناس إليها, سارع مدوناً كل ما توصل إليه من أدلة في فضح دينه السابق, أو في نصرة الصراط المستقيم الذي آل إليه, فكان جماع ذلك كتاباً كبيراً بلغ أكثر من اثنين وعشرين بابا, استصفى منها خلاصتها ولبها، فجعلها في كتابه هذا الذي بين يديك.

٢ - أن هذا الكتاب أثر ينبغي إشاعته؛ ليكون منارة هدى تزيد إيمان المؤمنين ـ بحول الله وقوته ـ وتوهن كيد الكافرين, وترشد الحائرين إلى الصراط المستقيم.

٣ - أنه نموذج فريد في العرض والاستدلال, ولا يستغني عنه طالب علم, بل يتحتم على من له أدنى اهتمام بدراسة الأديان أن يمعن النظر في أدلته, وأن يهتدي بمناراته.

٤ - أن هذا المهتدي هاجر من دينه إلى آفاق الإسلام الرحبة, ولقي خلال هذه الرحلة عقبات وعوائق, فلم تفت في عضده, ولم تثنه عن عزمه, ثم شمّر عن سواعد الجد في ميدان الجهاد منافحاً عن الإسلام وداعياً إليه, ومعلناً حربه التي لا هوادة فيها على النصرانية, ومع ذلك لم أجد من كتب عنه تنويهاً

لجهاده وإعلاءً لذكره؛ فآثرت أن أكتب عنه معرفاً بحياته, ومقدماً ومعلقاً على كتابه, فناسب اجتماع الأمرين.

٥ - أن هذا الكتاب شبه مفقود؛ إذ قد مضى على طبعته الأولى ما يقارب من٥٠ سنة، ولم أعثر على نسخة لهذا الكتاب إلا بعد بحث طويل, فرأيت أن من واجبي إعادة طباعته ونشره.

عملي في هذا الكتاب:

كما سيتضح للقارئ من ثنايا الكتاب أنه قد طبع قبل خمسين عاماً, ولم يعد طبعه, وهو أثر نفيس - لهذا المهتدي - جدير بأن يطبع وينشر؛ لما يمثله من وثيقة إدانة لديانته السابقة, ولما اشتمل عليه من أدلة وبراهين تحسن الإفادة منها في هذا الموضوع؛ لذا عمدت إلى هذا الكتاب، فأعددته للنشر, وكان عملي فيه على النحو التالي: -

١ - التعريف بالمؤلف: فقد خلت المصادر المعاصرة من التعريف الوافي بالمؤلف عدا شذرات يسيرة وردت هنا أو هناك؛ فجمعت ما تفرق منها, وألفت منها ومن مقابلة مع أحد أقران هذا المهتدي سيرة متكاملة لهذا الرجل, وضمنتها كتابي((مسلمو أهل الكتاب)) وقد نقلت جل هذه الترجمة من كتابي؛ لأنه اشتمل على هذه الترجمة المتكاملة.

٢ - عملت على عزو الآيات القرآنية الكريمة، وتخريج الأحاديث.

٣ - وازنت بين النصوص المنقولة في هذا الكتاب من التوراة والإنجيل، والنصوص المتداولة المعزوة إلى طبعة ١٩٠٠م مع طبعة ١٩٩١م؛ فإذا وجدت في النص اختلافاً بين الطبعتين أثبتُّ الاختلاف في الهامش, وإن اتفقتا تركت النص غفلاً من التعليق.

٤ - تضمنت الطبعة الأولى لهذا الكتاب بعض الحواشي والتعليقات التي علقها المؤلف, فأبقيتها، وذيلتها بحرف (ن) رمزاً للمؤلف النجار, وإن تضمن الهامش آية وضعت اسم السورة، ورقم الآية بعدها مباشرة بين معكوفتين[ ] وإن كان الهامش يحتاج إلى تعليق اتبعته بما أراه بعد الحرف(ن).

٥ - التعليق على ما يحتاج إلى تعليق. تضمن الكتاب بعض المسائل التي قد لا أوافق المؤلف فيها, فأكتب في الهامش ما أراه تعليقاً على هذه المسألة أو تلك, معززاً ذلك بالنقول من المصادر المعتمدة.

٦ - قد يذكر المؤلف مسألة، ويشير إلى أن التوراة والإنجيل والقرآن والسنة تدل عليها, ويذكر نصوص التوراة والإنجيل, ولا يذكر نصوص القرآن والسنة ؛ فأذكر هذه الأدلة الشريفة المباركة في الهامش.

مقدمة المؤلف(*)

الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة، وهو الحكيم الخبير. يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو الرحيم الغفور. سبحانه وتعالى عما يشركون. وهو الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وكبره تكبيراً. الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموات وما في الأرض، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما، وهو العلي العظيم. الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله, أرسله الله للناس كافة بشيراً ونذيراً, وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً, والصلاة والسلام على من أرسله الله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً, وأنزل عليه الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه؛ ليصحح العقائد، ويقوّم الأخلاق بما فيه من الآيات البينات, فهو كما قال فيه منزله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[1]

(*) خلت هذه الصفحات من عنوان مناسب فصدرتها بهذا العنوان.

(١) سورة المائدة, الآيتان١٥, ١٦.

أما بعد:

فإن الإسلام دين الأنبياء والمرسلين والأولين والآخرين, وقد قرر الله ذلك في القرآن الكريم، فقال عن سيدنا نوح -عليه الصلاة والسلام -: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[(١)]، كما حدثتنا آياته عن سيدنا إبراهيم -صلى الله عليه وسلم -: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[(٢)]، وقال سيدنا يوسف -صلى الله عليه وسلم -: ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[(٣)]وقال سيدنا موسى -صلى الله عليه وسلم -: ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[(٤)]، وقال السحرة الذين آمنوا: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[(٥)]، وقالت بلقيس ملكة سبأ: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(٦)]، وقال عن أنبياء بني إسرائيل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ

---

(١) سورة يونس , الآية٧٢.

(٢) سورة البقرة , الآيتان ١٣١, ١٣٢.

(٣) سورة يوسف , الآية ١٠١.

(٤) سورة يونس , الآية ٨٤.

(٥) سورة الأعراف , الآية ١٢٦.

(٦) سورة النمل , الآية ٤٤.

فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾[١]، وقال الحواريون: ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[٢] .

ولما كان الإسلام هو دين الأولين والآخرين قرر الله أنه لا يقبل من عبده غيره, فقال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[٣]

ومعنى الإسلام: يهدف إلى التسليم بما أنزله الله من كتبه وطاعة رسله.[٤]

ومن فرّق بين رسله أو كتبه فهو من الكافرين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ

---

(١) سورة المائدة , الآية ٤٤.

(٢) سورة آل عمران , الآية ٥٢.

(٣) سورة آل عمران , الآية ٨٥.

(٤) معنى الإسلام: (إقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة, وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى, وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه, ولا انحراف عنه, دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودة والألوهة) قاله ابن جرير الطبري عند تفسير قوله -تعالى -: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ج ٦ ص٢٧٥, وقال حافظ الحكمي: (معنى الإسلام: الاستسلام لله بالتوحيد, والانقياد له بالطاعة, والخلوص له من الشرك) أعلام السنة المنشورة, ص٨. وانظر الإيمان لابن تيمية, ٤,١١٤, وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز , ص٣٣٢ , والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني, ٢٤٠.

حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾[١]

ولما كان محمد -صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين والمرسلين- فليس بعده رسول يجدد هذا الدين- تكفل الله بحفظه ليوم الدين, قال -تعالى -: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٢] وهيأ له من الأسباب[٣] التي تظهره، وتبين حقيقته, ما يجريه الله من أحداث في الكون, فيلقى بأرواح سلمت بفرديته، وآمنت بوحدة ربوبيته من يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ ﴾[٤] في أرحام المعارضين من أهل الإفك والضلال المبين, فيتربون في بيئة الكفر, ويتغذون بلبان الشرك, حتى إذا ما بلغوا أشدهم، واستقلوا برأيهم، ونظروا بعين الحق إلى الحق؛ ألهمهم الله الرشد واليقين,فوازنوا بين الغث والثمين, وبين الهدى والضلال, وبين الطريق المعوج والصراط المستقيم, فاتبعوا أقوم الطرق وأحسن القول, وأظهر الله بهم الدين, وثبت جماعة المسلمين؛ ليؤمنوا بما وعد الله به في الكتاب المبين من المحافظة على هذا الهدي العظيم, وتهيئة الأسباب لنشره بين الخافقين: قال الله -تعالى -:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن

---

(١) سورة النساء , الآيات ١٥٠ -١٥٢.

(٢) سورة الحجر , الآية ٩.

(٣) هنا يذكر المؤلف أن من نصرة الله لهذا الدين أن يهدي إليه علماء من أهل الكتاب؛ ليكون إيمانهم إظهاراً للدين, وتثبيتاً للمؤمنين,وحجة على المعاندين.

(٤) إشارة إلى قوله -تعالى -: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ سورة الأعراف , الآية ١٧٢.

يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[1] يعمل هؤلاء المصطفون من الناس على نشر محاسن الدين ومحامده, وبيان مساوئ الكفر ومفاسده, بما أمدهم الله من حجج ساطعة وبراهين قاطعة, ترفع علم الحق خفاقاً, وتوسع الباطل هدماً وإنكارا ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ .[2]

---

(١) سورة المائدة , الآية٥٤.

(٢) سورة الإسراء , الآية ٨١ .

كيف أسلمت؟

وبعد، فإن إسلامي لم يأت طفرة واحدة, ولم يكن ابن يوم وليلة, بل كان نتيجة بحث وتنقيب؛ بغية الوصول إلى الحقيقة, فاطلعت على القرآن الكريم بعد دراستي للتوراة والإنجيل, وأردت أن أدون ما وصلت إليه أبحاثي في هذه الكتب من الحقائق التي هدتني إلى الصراط المستقيم؛ أرجو بها الرضوان من رب العالمين, وأقدمت على طبع هذه العجالة خدمة لغير المسلمين قبل أن تكون للمسلمين, عسى أن يهتدي بها الضالون، ولا يرتاب المرتابون, وقد جمعت في هذه الرسالة العاجلة التي هي أولى ما أخرجته ملخص الرسالة الكبيرة التي تبلغ اثنين وعشرين باباً مضيفاً إليها بعضاً من أبواب البشائر(١) برئيس العالم وحجر الزاوية(٢) ,وبعضاً من باب دحض فرية الصلب(٣), وتحقيق وقوع الشبه

---

(١) المراد بها: ذكر خبر النبي محمد -صلى الله عليه وسلم - في التوراة والإنجيل, وهذه البشائر عُني بها علماء الأمة الإسلامية عناية بالغة, فأفردت لها المؤلفات, كما ذُكِرتْ ضمن كتب مقارنة الأديان ومجادلة اليهود والنصارى, فلا تكاد تجد كتاباً في هذا الفن إلا وقد أورد فيه مؤلفه عدداً من هذه البشارات,.انظر مثلاً: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح,تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية,وهداية الحيارى,تأليف شيخ الإسلام ابن القيم,والأجوبة الفاخرة، للقرافي,والدين والدولة، لعلي بن ربن الطبري,والنصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، للمهتدي المتطيب,وتحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، للمهتدي الترجمان, وإظهار الحق، للعلامة رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي, والبشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، للدكتور أحمد السقا.

(٢) كذا عبرت الأناجيل, والمقصود خاتم المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم - ن. انظر: البشارة التي ذكرت هذا اللفظ (حجر الزاوية) في ص (١١٣) من هذا الكتاب.

(٣) أي زعم النصارى أن المسيح -عليه السلام - مات مصلوباً, انظر ص (١١٩) من هذا الكتاب.

والرفع[(١)], والتحريف والتبديل[(٢)] ؛ ليخرج القارئ بنتيجة ظاهرة, ويتحقق مما وصلت إليه, إذا تخلى عن التعصب والتحزب الممقوت, فإذا تصفحت عجالتي هذه بروية وإمعان ؛ وضح الحق لديك بالبرهان, وظهر جلياً للعيان, وجدت نفسك منساقاً إلى اليقين, فالعاقل إذا لاح له الحق تبعه وثبت عليه، فالإنسان مجبول على حب الخير وطلبه, والرغبة في نيله بكل رخيص وغال, ليس الإنسان وحده هو المفطور على حب الخير وطلبه, بل كل الأحياء من ملائكة وجن وحيوانات ونباتات، والإنسان مكلف أن يبحث عن أقرب طريق موصل للخير, ولنيل ذلك يجب أن يتخلى عن التحزب الأعمى الممقوت والعصبية العنصرية, ويضع ما كان عليه آباؤه وأجداده على بساط البحث والتنقيب, فإذا من الله عليه بمعرفة الحق قام فسارع مبادراً إلى اتباعه والعمل به, ولو كان في ذلك مفارقة الوالدين والأولاد والمال، بل والدنيا والنفس[(٣)],قال السيد المسيح -عليه الصلاة والسلام - (من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية ؛ لأنه ماذا ينفع الإنسان لو

---

(١) أي أن اليهود الذين حاولوا قتل المسيح وصلبه ومن أعانهم من جهلة النصارى على ذلك رأوا شبيه المسيح فقتلوه وصلبوه, ولم يتمكنوا من قتل المسيح وصلبه, بل حفظه الله وحماه, انظر ص (١١٩) من هذا الكتاب.

(٢) أي تحريف وتبديل كتبهم الدينية المعتمدة عندهم. انظر ص (١٣٨) من هذا الكتاب.

(٣) قال -تعالى - : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة التوبة, الآية٢٤. وقال -تعالى - : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ سورة الشمس, الآيتان : ٩, ١٠. وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة هود, الآيتان ١٥, ١٦.

ربح العالم (أي الدنيا) كله، وأهلك نفسه، أو خسرها)[١]، وكثيراً ما حرم الإنسان الخير بسبب تعصبه لدينه، أو لدين آبائه وأجداده، أو بغروره بعلمه وعمله، أو ماله وعشيرته.

مراجع ما بهذه العجالة من بشائر وآيات ونصوص منقولة من نسخة مطبوعة في الطبعة الأمريكانية في بيروت سنة ١٩٠٠[٢]

(١) وفي إنجيل متى ١٦ : ٢٥ - ٢٦ طبعة عام ١٩٩١م (فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها؛ لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله، وخسر نفسه).

(٢) يشير المؤلف - رحمه الله - إلى النسخة التي اعتمد عليها في نقل النصوص التي استدل بها من كتبهم المعتمدة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ ﴾[١].

أراد الله -سبحانه وتعالى - أن نفرده بالوحدانية، وألا نعبد غيره, فدلنا على وحدانيته وقدرته بمخلوقاته العلوية والسفلية[٢],وأمرنا بالتدبر

---

(١) سورة الأنعام , الآيتان ١, ٢.

(٢) لاشك أن الآيات الكونية العظيمة دليل على وحدانية الله وألوهيته, ولاشك - أيضاً - أن التفكر والتدبر في هذه الآيات يقود النفس السوية إلى الاستدلال على خالقها؛ ولكن لا تستطيع النفوس أن تستقل بمعرفة الأفعال التي تنفع فاعلها في الدنيا والآخرة, كما لا تستطيع أن تستقل بمعرفة ما يضرها في دينها ودنياها؛ ولذا كانت الإنسانية أحوج ما تكون إلى الرسالة, بل حاجتها إلى معرفة ذلك والعلم به أشد من حاجتها إلى الطعام والشراب؛ فإن هذا إذا فات حصل الموت في الدنيا, وذاك إذا فات حصل العذاب في الدنيا والآخرة. وقال الماوردي موضحاً ذلك: (وهذه الأوامر والنواهي الإلهية لا يمكن أن تستقل العقول بمعرفتها؛ ولذلك شرع الله الشرائع, وفرض الأوامر والنواهي؛ تكريماً لبني الإنسان, وتشريفاً لهم وحفظاً لمصالحهم؛ لأن الناس قد ينساقون وراء شهواتهم, فينتهكون المحرمات, ويتطاولون على الناس، فيسلبونهم حقوقهم, فكان من الحكمة البالغة أن يبعث الله فيهم بين آونة وأخرى رسلاً يذكرونهم أوامر الله, ويحذرونهم من الوقوع في معصيته... إلى أن قال: فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل, ولا منهم في انتظام الحق بدل) أعلام النبوة, ص٣٣. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده, فكما أنه لاصلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة, فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة, فالإنسان مضطر إلى الشرع؛ لأنه بين حركتين :حركة يجلب بها ما ينفعه, وحركة يدفع بها ما يضره , والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره, فهو نور الله في أرضه ,وعدله بين عباده, وحصنه الذي من دخله كان آمناً) مجموع فتاوى ابن تيمية, ج١٩,ص٩٩ — ١٠٢ وانظر ج١, ص٥, ٦ منه, وانظر لوامع الأنوار البهيئة, ج٢, ص٢٦١ - ٢٦٣ , وانظر: الإسلام أصوله ومبادئه, ص٧٨ - ٨٣.

والتفكر فيها؛ لنعظم خالقها, قال -تعالى -: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١], وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾[٢], وقد سن لهذه العوالم سنناً وقوانين وأنظمة تسير عليها ولا تتعداها, وأودع في كل نفس إدراكاً مخصوصاً وإحساساً مقدوراً؛ لتدفع الأذى عن نفسها , وتدخر ما يفيدها[٣], حتى تحتفظ بكيانها، ويظل الكون زاخراً عامراً ما أراد الله له الوجود. ووضع في الإنسان القوة العاقلة، وأمدها بالحواس الخمس التي يهتدي بها لسبل معاشه ومقومات حياته, وبكليهما[٤] يصل إلى ما يسعده في معاشه ومعاده.

---

(١) سورة يونس , الآية ١٠١.

(٢) أطلق للعقل البشرى العنان في التفكر في خلق السموات والأرض وما فيهما من آيات بينات؛ لنعرف ذلك الإله العظيم والمبدع الكبير, وتنفتح عين البصير، وتعرف خصائص الأشياء وما فيها من قوى وما تحويه من منافع؛ لتسخيرها في الصالح العام . ن. والآية من سورة الأعراف: ١٨٥.

(٣) قال -تعالى -: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾ سورة طه، الآية٥٠, وقال -جل ثناؤه -: ﴿ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ سورة الأعلى, الآية ٣.

(٤) انظر ما ورد في الحاشية رقم(٢) من ص (٣٧) من هذا الكتاب.

المنارة الأولى
حكمة الخلق وبدء تكوينه

علمنا مما تقدم أن الله قد سن السنن والقوانين والأنظمة للعوالم؛ ليدرك عقلنا, ويعلم لُبُّنا, وتطمئن قلوبنا لفرديته ووحدانيته, وبين لنا ذلك في صحفه وكتبه المنزلة على أنبيائه ورسله,فالقرآن يقول[1]: ﴿ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَـٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[2]، ويقول: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِىَ فِى ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

---

(١) دعانا القرآن الكريم للتفكر في الموجودات لعدة أسباب منها:

(أ) تنزيه الألوهية وتوحيد الربوبية؛ ليعرف الإنسان ما لله من صفات الجمال والجلال ونعوت الكمال.

(ب) بناء العقيدة الصحيحة على المشاهد المحسوس الملموس له من ارتباط مجموع العوالم بعضها ببعض, وما أودع فيها من غريب الصنع وبديع الحكمة وجزيل المنافع, فتكون عقيدته بنت بحثه ونتيجة تفكيره, فستقر في قلبه، وتملأ نفسه.

(ج) أعلمه بما في العالم من قوى ومنافع مصرفة بحدود وأنظمة تجعلها مسخرة لخدمته, جارية بحساب أزمنته, حتى تشعر حواسه، ويدرك عقله تلك النعم المحيطة به, والخيرات المغدقة عليه, التي يعجز القلم عن حصرها, ويعجز الناس عن أداء واجب الشكر عليها, فيشمر عن ساعد الجد مجتهداً في العبادة مخلصاً لربه, ليؤدي بعض ما يجب عليه لمن تجلى بنوره في عوالم الأرض والسماء، فيقف خاشعاً قانتاً منزها موحداً من ظهرت آثاره في جميع الأكوان, لاهجاً بلسان العلم اليقيني والمعرفة الصادقة التي يحس بها من قرارة نفسه, مندفعاً إليها بوجدانه, قائلاً: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ ن.

(٢) سورة آل عمران, الآية ١٩٠.

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]، ويقول: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[2]، ويقول: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[3] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾[4] ويقول: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[5] ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[6]

---

(١) سورة إبراهيم ، الآيات : ٣٢ - ٣٤.

(٢) سورة الجاثية، الآية ١٣.

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٦٤ .

(٤) سورة النحل ، الآيتان ١٠، ١١ .

(٥) سورة النحل ، الآية ١٤ .

(٦) سورة النحل ، الآيتان ١٧، ١٨ .

سار على هذا النظام في بيان مخلوقاته, وإبداع صنعها, وجمال منظرها, ونظام سيرها,وحكمة خلقها,معدداً لنا جزيل منافعها, وتمام تماسكها, بما تراه وتحسه جوارحنا, ويفهمه ويعقله لُبُّنا, فأرسل الأنبياء والرسل بما تدركه عقول أقوامهم.

وحثنا على التفكير في مخلوقات الله سيد الأنبياء وخاتم المرسلين؛ لتتسع عقولنا وعلومنا، وتكثر معارفنا (تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا)[١]؛ ولعلمه -جل جلاله - بما سيكون من بعض بني آدم من الكفر والشرك بالله الأحد الفرد الصمد, وعبادتهم للمخلوقات دونه، كالأنبياء والملائكة والملوك والسحرة والكهان، وبالأخص سيدنا عيسى، عليه السلام -لخلقه من امرأة فقط على خلاف العادة المألوفة والأسباب المعلومة- لأجل ذلك أرشدنا الله لقدرته غير المحدودة بمخلوقاته العلوية والسفلية, وأعلمنا في صحفه وكتبه المنزلة على أنبيائه ورسله بأنه -تعالى - ما خلق هذه العوالم إلا بكلمة ((كن)) [٢] كما قالت التوراة بسفر التكوين إصحاح١عدد٣[٣]: (وقال الله ليكن نور[٤] فكان نوراً)، وهكذا يقول: ليكن كذا, ليكن كذا, إلى أن خلق جميع العوالم. وقال سفر المزامير، مزمور٣٣ عدد٦:

---

(١) رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة, ج ١, ص ٥٢٥ , وأورده العجلوني في كشف الخفاءج١, ص٣١١ برقم ١٠٠٥, وحسنه الألباني في الصحيحة, ج٤, ص٣٥٩-٣٩٧, برقم ١٧٨٨.

(٢) قال -تعالى -: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ سورة البقرة, الآية ١١٧ .

(٣) ورد في الأصل هنا لفظ الجلالة (الله)ويبدو أنها زائدة.

(٤) هكذا وردت في الأصل.

(بكلمة الله صنعت السموات)[١] ، أفمن خلق السموات والأرض وجميع ما فيها من عوالم ومخلوقات وشموس وأقمار وكواكب وسيارات[٢] يعجز أن يجعل السيدة مريم تحمل بدون رجل؟ اللهم إن هذا ضلال، مبين وبهتان عظيم ! ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[٣]

(١) وفي طبعة ١٩٩١م : (بكلمة الرب صنعت السموات).

(٢) يقول الله -سبحانه وتعالى -: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[سورة غافر , الآية ٥٧]. وقرر علماء الفلك -بما أوصلتهم إليه آلاتهم الحديثة مثل التلسكوب والشعاع الطيفي - أن أرضنا أصغر من الشمس بمليون ومائتين وخمسين ألف مرة, وأن الشعرى أضوأ من الشمس بنحو خمسين مرة, وأن بنات نعش أضوأ منها بثلاثمائة مرة,وأن السماكين أضوأ منها بستمائة مرة, ولكن لبعدها الشاسع عنا لانرى منها إلا الضوء الضئيل ، أما شمسنا فهي قريبة منا قرباً يلائم مرافق حياتنا ومعاشنا, فلا هي بعيدة عنا بعداً شاسعاً يمنع عنا ضوءها وحرارتها, ولا هي قريبة منا جداً فتحرق الأرض وما عليها, ولانتمكن من العيش فوقها, فسبحان الحكيم العليم.ن. وهذه التقديرات وما يمثلها مما يتعلق بالكواكب ينبغي أن لا نعدو فيها قدرها, وأن نعتقد أنها تقديرات ظنية تقريبية, عرضة للخطأ ومحتملة للشك فيها, وهذا الهامش لم يبين في الأصل موقعه من هذه الصفحة ؛ فاجتهدت في وضعه هنا.

(٣) سورة يس , الآيتان : ٨١, ٨٢.

المنارة الثانية
حكمة خلق أبينا آدم من تراب

قد وضح فيما تقدم خلق الله للعوالم العلوية والسفلية وما فيها من مخلوقات, وما خلقها الله ـ تعالى ـ إلا بكلمة ((كن))! فما تلحق الكاف النون حتى يكون ما أراد الله أن يكون, وقد جعل الله لهذه العوالم سنناً ونواميس وأنظمة وقوانين لا تتعداها ولا تتخطاها؛ حتى لا يتخبط ذلك العقل البشري في بيداء التخيلات والأوهام, ولا يضل في ظلمات الشرك والكفر بنعم الله, فينحط إلى دركات الجهل الذي يدنيه من الاضمحلال والانقراض.

كذا الجهل قبل الموت موت لأهله ... فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأً لم يحي بالعلم ميت ... فليس له حتى النشور نشور[١]

فمحافظة على لبه وعقله وذريته ونسله وضع الأنظمة وسن القوانين؛ ليظل الكون عامراً زاخراً إلى ما شاء الله.

ثم جعل لبدء خلقه وأصل نشأته مبدأ معروفاً وسبباً ملموساً لثلاثة أسباب، وهي:[٢]

---

(١) هذان البيتان نسبا للماوردي في معجم الأدباء, ج٤, ص٣١٤, وفي طبقات الشافعية, ج ٥, ص ٣٤٨, وفي الوافي بالوفيات, ج ٢١, ص ٢٩٩.

(٢) ليس ما ذكره المؤلف من هذه الأسباب هو الذي من أجله اقتضت حكمة الحكيم العليم خلق آدم من طين, بل حكمة الله أعم وأخفى وألطف, وقد يستنبط البشر جوانب منها, وقد تستعصي على أفهامهم, وتبعد عن متناول إدراكهم. وما يقال هنا يقال على أحداث ماضية أخبر الله عنها في كتابه الكريم, حاول المؤلف استقصاء أسبابها في أماكن متفرقة من هذا الكتاب, انظر الصفحات التالية: ٤٤, ٥٤, ٥٩, ٦٣, ٨٨, ٩٦, ١٢٨.

أولاً :

(أ) خلقه من تراب ؛ لأن غذاء جسمه وما يقوم بحياته ومعاشه عناصر تلك الأرض وثمارها, قال -تعالى -: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] فجعلها سبباً ملموساً له ولذريته لبدء نشأتهم, وقد تغذى سيدنا عيسى ، وهو ابن سيدنا آدم من أصل نشأته الأرض والتراب [2] ، قال -تعالى -: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[3]

(ب) وكما أن التراب سبب تكوينه وأصل نشأته كذلك تكون سلالته التي تكون منها الأمم والشعوب من التراب أيضاً ؛ لأن الدم الذي يغذي جميع أجزاء الجسم ، ويمدها بالحياة يتركب ويتكون مما نتغذى به يومياً من ثمار الأرض والتراب, ومن هذا الدم يتولد المني الذي هو بذرة التذري وأصل سلالة بني آدم, قال -تعالى -: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾[4] ، وقال -تعالى -: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[5]

---

(١) سورة الأعراف , الآية ٢٥.

(٢) أي مما يخرج منهما.

(٣) الذي يأكل لا بد له من فضلات قذرة وروائح كريهة وأوساخ نجسة, تعالى ربنا وتنزه عن ذلك . ن. والآية ٧٥ من سورة المائدة.

(٤) سورة السجدة, الآيتان ٧, ٨.

(٥) الآية٢٠ من سورة الروم. القرآن الكريم أصل كل علم صحيح,أخبرنا بأول الأشياء وآخرها وحقيقته ما تؤول إليه : من انقلاب التراب إلى زرع مختلف الأشكال والألوان والطعوم, ثم=

ثانياً :

لعلمه بما يكون من غواية إبليس لنسل آدم, وإضلاله لبعض الأمم, فلا يسلمون, ولا يؤمنون بالبعث ورجوع الحياة إليهم بعد الموت ؛ جعل الأرض والتراب أصلاً لنشأتهم الأولى, وهم يعلمون، ويشاهدون موتها ورجوع الحياة إليها مراراً وتكراراً, فتؤمن حواسهم, وتوقن عقولهم برجوع الحياة إليهم بعد الموت كرجوعها لأصلهم ومصدر نشأتهم الأرض,قال -تعالى -:﴿ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ ﴾[1].

=نعرف من أحواله أنه يهضم في الفم، ثم في المعدة,ثم يهضم هضماً ثالثاً ورابعاً بالعصارات البنكرياسية وبعصارة الصفراء التي تفرزها الكبد إلى آخر ما يحصل من تحلل وتلاش وهضم واضمحلال, ينتج منه تجديد في القوى, ونمو في الجسم, ونضارة في الحياة, قال -تعالى -:﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾ [الآية ١٩ من سورة الروم] لأن العناصر الأرضية لا روح فيها ولا حياة يخرج منها نبات حي نام, ثم يفقد حياته في أثناء مروره بأطوار الطبخ والهضم, ثم تعود إلى ما كانت عليه من حياة ونمو وتجديد, حتى إنها لتنتج كائنا حيا سميعاً بصيراً, بل إنساناً عاقلاً مفكراً مدبراً .ن. ولو قال: ثم يخرج الله منها كائناً حياً لكان أسلم.

(١) سورة فصلت , الآية ٣٩.

ثالثاً:

ليعلمنا بأصل نشأتنا، فلا يداخلنا الغرور, قال -تعالى -: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ ﴾[١] فلا نكفر بنعم الله,ولا نعبد غيره, ولا نتبع غواية إبليس وغروره وكبره وغطرسته باحتقاره لخلق الله, قال -تعالى -: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ [٢] الذي يسيطر علينا بالتضليل والتمويه؛ ليحجب عقولنا عن شهود قدرة الله وعظمته في بدائع مخلوقاته؛ فنرث بذلك جهلاً يسقطنا إلى الحضيض, كما سقط هو وأتباعه في الدرك الأسفل من الذل والهوان والخسران المبين[٣].

ألا, فلنجعل نصب أعيننا أن أصلنا ومصدرنا التراب, وجميعنا من سلالة واحدة, وطينة واحدة, فلا يتعاظم أحدنا على من دونه في المركز والجاه؛ لقوله -تعالى -:﴿ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [٤]، وقال -صلى الله عليه

---

(١) سورة المرسلات , الآية ٢٠.

(٢) سورة البقرة, الآية ٣٤.

(٣) وذلك يبين لك سبب عداوة إبليس لآدم وذريته وشدة حقده وكيده ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ ن. والآيتان ١٦ , ١٧ من سورة الأعراف.

(٤) سورة الحجرات , الآية ١٣.

وسلم - (ألا إن الله قد أذهب عنكم العصبية والجاهلية وتنابزكم بالآباء والأجداد, كلكم لآدم وآدم من تراب)[١]

(لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى)[٢].

عرّفنا أصلنا؛ لنعرف قيمة أنفسنا التي بين جنبينا، فنحذرها، ولا نتبع ميولها الخسيسة الدنيئة, قال -تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[٣]، وقال -صلى الله عليه وسلم -: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[٤]؛ لنجاهدها ونروضها، حتى تنال درجة الكمال والرفعة عملاً بقوله - صلى الله عليه وسلم - عند رجوعه من إحدى الغزوات: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر, قيل: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: جهاد النفس)[٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده واللفظ له، عن أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله -عز وجل - قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفخرها بالآباء, مؤمن تقي, وفاجر شقي, والناس بنو آدم, وآدم من تراب, لينتهين أقوام فخرهم برجال, أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن) ج٢, ص٣٦١, ٥٢٤, ورواه أبو داود في سننه في كتاب الأدب, ج٤, ص٣٣١, ورواه الترمذي في سننه عن ابن عمر, ج٥, ص ٦٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٥ , ص ٤١١.

(٣) سورة يوسف , الآية ٥٣.

(٤) أورده العجلوني في كشف الخفاء, ج١, ص١٤٢, برقم ٤١٢, وحكم عليه الألباني بالوضع، كما في الضعيفة ج٣, ص٣٠٨- ٣٠٩ برقم ١١٦٤.

(٥) قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم: (ويروى هذا مرفوعاً من حديث جابر بإسناد ضعيف, ولفظه: قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قالوا وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد لهواه. ويروى من حديث سعد بن أنس عن النبي -صلى الله عليه وسلم - قال: (ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان نوراً لك, وإنما أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)، وقال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه - في وصيته لعمر حين

وقد أرسل الله إلينا الأنبياء والمرسلين لهدايتنا من بدء خلق أبينا آدم إلى زمن خاتم المرسلين سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم - لينبه أرواحنا، ويرشدها إلى الصراط المستقيم الذي يوصلها إلى عالمها العلوي الذي حجبت عنه، وسجنت في هذا الجسم المادي لإدارته وتنظيمه؛ ابتلاء وامتحانا لها, حتى إذا ما جاهدته، وانتصرت عليه بإماتة ميوله وشهواته, وتخلصت من علائقه ومشاغله, ونزهته عن الانغماس في حمأة الرذيلة, ورفعته إلى مصاف الملائكة استحقت جزاءها في دار الخلد والنعيم(١) .

استخلفه: إن أول ما أحذرك نفسك التي بين جنبيك. فهذا الجهاد يحتاج إلى صبر,فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه غلبه، وحصل له النصر والظفر, وملك نفسه، فصار ملكاً عزيزاً, ومن= =جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غُلب، وقُهر، وأُسر,وصار عبداً ذليلاً أسيراً في يد شيطانه وهواه) ج١,ص٤٨٩ -٤٩٠. وأورده العجلوني في كشف الخفاء, ج١,ص٤٢٤ - ٤٢٥ برقم١٣٦٢ ,وقال عنه الألباني في ضعيف الجامع: ضعيف, ٥٩٥ برقم ٤٠٨٠.

(١) ليس جسد المؤمن سجناً لروحه, وليس مأموراً بإماتة ميوله وشهواته؛ بل الروح تطمئن في جسد المؤمن كما قال -تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ سورة الرعد, الآية ٢٨. كما أنها تشقى في جسد الكافر، كما قال -تعالى -: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ سورة الشمس, الآية ٩. وقال جل ثناؤه: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ سورة طه, الآية ١٢٤. فالروح والجسد يتعاونان في تحقيق العبودية التي خلقا من أجلها, قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ سورة الذاريات, الآية ٥٦. وليس من الإسلام أن يتخلص الإنسان من شهواته الفطرية؛ بل عليه أن يأتي منها ما تميل إليه نفسه منها وفق ما شرع الله له, مستشعراً نعمة الله عليه, وأن يسمو بهذه الشهوات؛ لتكون عوناً له على عبادة ربه حتى يتحقق له فلاح الدارين؛ لأن الله -سبحانه وتعالى -عندما خلق هذا الإنسان، وجبله على ما جبله عليه-سخر له ما في الكون- لم يحرم عليه ما تقوم به حياته, وتسمو به روحه, قال -تعالى -: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ سورة الأعراف, الآية

المنارة الثالثة

حكمة خلق حواء من ضلع آدم

وقد جعل الله آدم أصلاً لها وسبباً لوجودها ؛ ليحن ويعطف عليها ؛ لأنها عضو من أعضائه, وهي بدورها تميل وتشتاق إلى أصل نشأتها الرجل, فخلقها من أحد أضلاعه، كما بدأ خلقه من التراب -والمعلوم أن الأصل أقوى من الفرع, وأن الجزء أقل من الكل -ولما كان الرجل أصلاً للمرأة,جُعل قواماً عليها لقوة بنائه, ومتانة تركيبه, واتساع دائرة أعماله في جميع مرافق الحياة, فهو يسعى، ويكد في تحصيل قوته وقوت أولاده, ويرد عنهم عادية المعتدين, ويقوم بواجب الدفاع عن الدين والوطن ؛ لأنه بطبيعته واستعداده الفطري أسمى إدراكا وأحكم تدبيراً من المرأة ؛ لقدرته على مغالبة

---

٣٢. وخاطب –سبحانه - المؤمنين، فقال -عز من قائل -:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَ [illegible]
سبحانه ـ = = ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ سورة البقرة الآية١٧٢. وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه - قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم - فلما أخبروا كأنهم تقالوها, فقالوا: أين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر أبدا. وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ؛ لكني أصوم وأفطر, وأصلي وأرقد, وأتزوج النساء, فمن رغب عن سنتي فليس مني) رواه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح,باب الترغيب في النكاح, ومسلم في صحيحه في كتاب النكاح, حديث رقم ١٤٠١.

نفسه، فيصرف الأمور في وجوهها الشرعية والسياسية والإدارية, أما المرأة فقواها مركزة في أنوثتها وعطف الأمومة, فلها من الوظيفة ما ليس للرجل, وللرجل من العمل ما ليس للمرأة, ولو نزعت نفس أحدهما إلى وظيفة الآخر لكان بعيداً عن ضبط النفس عن ارتكاب الجرائم وهتك الأعراض؛ فيتفكك بناء المجتمع, ويختل نظام الكون. فمن قام وشق عصا الطاعة على أصله وسبب وجوده؛ باء بالذل والخسران والهوان, لتعديه على سنن الطبيعة[1] ونواميس الكون التي سنها الله، فلا يتعداها[2].

وقد اكتوى زماننا بلهيب المخالفين لسنن الله ونواميس الطبيعة أنصار التمدين دعاة السفور الإباحيين الشهوانيين الذين زجوا بالمرأة في ميدان

---

(١) قال -تعالى -: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ سورة النساء, الآية ٣٢.

(٢) يقع تحت هذا الحكم عاق والديه الخارج على أصله الظاهر, وسبب وجوده المباشر؛ لأنه يكون سبباً في قطع أواصر المحبة والاتحاد, وبذا يتهدم بناء الأسرة, ويجلب عليها الخزي والهوان.ن. قال -صلى الله عليه وسلم -: (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم, أما ترضين أن أصل من وصلك , وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب. قال: فهو لك. قال -صلى الله عليه وسلم -: فاقرؤوا إن شئتم -: فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب, باب من وصل وصله الله ج٧, ص٧٢, ومسلم في كتاب البر والصلة حديث ٢٥٥٤, وانظر حديث ٢٥٥٥من كتاب البر والصلة في صحيح مسلم أيضاً, وقال -صلى الله عليه وسلم -: (لايدخل الجنة قاطع رحم)وقال أيضاً: (رغم أنف, ثم رغم أنف,ثم رغم أنف, قيل: من يارسول الله؟! قال: من أدرك أبويه عند الكبر, أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة)، وقال: (من سره أن يبسط عليه في رزقه, أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه)، وهذه الأحاديث الثلاثة كلها أوردها الإمام مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة تحت رقم ٢٥٥٦, ٢٥٥١, ٢٥٥٧ ج٤,ص ١٩٧٨ -١٩٨٢. وهذه النصوص وما شاكلها مما ورد في هذا الباب تؤكد أهمية صلة الرحم, وتتضمن الوعيد الشديد لمن عق والديه أو أحدهما أو قطع رحمه.

الخلاعة واللهو والمجون حتى خرجت من خدرها، وغشيت جميع الميادين والطرقات كاسية عارية متهتكة[١]، ففسد المجتمع, وتولدت بذلك المخاصمات والمشاحنات, وثار بعضهم على بعض ممتشقين حسام الحرب والقتال؛ فذاقوا وبال أمرهم، وكان عاقبة أمرهم خسرا ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[٢]

أطـــــوار الخلق

علمنا مما تقدم سبب النشأة الأولى, وعرفنا -أيضاً -أنه خَلَقَ ممن جعله سبباً للنسل والذرية-آدم-أرضاً صالحة للبذر والإنبات -حواء - فخزن بها زيادة على ما يقوم بحياتها ومعاشها مواد تغذية تلك البذرة وتنميتها، ألا وهو السائل الحيضي[٣] الذي تحيله الغدد وأجهزة التغذية إلى غذاء تقدمه لمعمل التكوين والتخليق، ألا وهو(الرحم) الذي يأمرها بما

---

(١) ونتيجة لهذا التنكر لسنن الله ومخالفة أوامره تتكبد البشرية اليوم -إلا من رحم ربي- حصائد أفعالها, إذ تفيد التقارير أن مرضى الإيدز قد بلغوا ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ على مستوى العالم, كما بلغت الوفيات من هذا المرض ٢٥,٠٠٠,٠٠٠ وأنه يصاب به يومياً قرابة ١٤,٠٠٠ مصاب نقلاً عن شبكة بانديميك لمراقبة مرض الإيدز, وذكر أمين عام الأمم المتحدة أن نسبة ٣٥٪من المصابين بهذا المرض من النساء حتى بات هذا المرض يتخذ طابعاً نسائياً. انظر مجلة الشقائق العدد٦٢ من عام ١٤٢٢هـ ص٢٦ -٢٧, وجريدة الشرق الأوسط الصادرة في يوم الاثنين ١٤٢٣/١٠/٢٦هـ.

(٢) سورة الروم, الآية ٤١.

(٣) عندما تلقح البويضة بالحيوان المنوي يخلق الله لها آلة جديدة تنمو بنمو الخلية تسمى عند العامة(الخلاص) وفي الطب (المشيمة)وظيفتها تغذية الخلية الحيوانية بما يناسب أطوار نموها من المبادلات بين دم الأم ودم الجنين بواسطة الحبل السري, محتفظة بالمواد الغازية والفضلات المتجمدة التي تنزل مع المشيمة أثناء الوضع. ن.

تحلله، وتركبه من لحظة إلى أخرى بما يناسب نمو البذرة في مراحل انتقالها وأطوار تخلقها, حتى يتم تكوينها وخلقها, فيدفعها خارجاً؛ ليستريح هو وأجهزته من العمل الشاق المتواصل, فيسلم مواد التغذية إلى أجهزة أخرى تحولها إلى غذاء جديد يوافق نشأته الجديدة, جامعاً له فيه جميع العناصر التي تقيه عوارض الجو وتقلبات الطبيعة -اللبن -متدرجاً تركيبه الكيماوي مع تدرج نموه يوما بعد يوم, فتدفعه إلى مخزنين بارزين؛كي لا يصعب عليه تناولهما(الثديين), حتى إذا ما تم نموه, وقوي عظمه, واشتد عوده سلمته إلى أصل نشأته الأرض والتراب، فيتغذى من ثمارها.

والقرآن الكريم-كما قدمنا أصل كل علم صحيح-تعرض لأصل الخليقة وتطوراتها, وبين أطوار هذا الخلق ومنشأ آدم وذريته -كما قدمنا - وتعرض للأجنة وما تمر به من أشكال مختلفة وصور متباينة[1]، فقال: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ [2]؛ لنعرف أطوار تخلقها, ومراحل انتقالها من صورة إلى صورة, قال -تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ [3]؛ لتشاهدوا ذلك عياناً، وتتحققوه عن علم

---

(١) قارن المهتدي موريس بوكاي في كتابه: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم, بين هذه الكتب وبين ما توصل إليه العلم الحديث في موضوعات متعددة كأصل الحياة وخلق السموات والأرض وعلم الفلك والتناسل الإنساني... فوجد أن ما ورد في القرآن الكريم موافق للعلم, وما ورد في التوراة والأناجيل المتداولة اليوم مخالف للعلم الحديث. انظر ص٣٩ - ٦١, ١٠٤ - ١٢٥، ١٣٣ - ٢٣٤.

(٢) سورة الزمر ,الآية ٦.

(٣) سورة الحج ,الآية ٥.

ثابت صحيح أقره علم الطب والجراحة والأجنة[١]،كما قال -تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[٢].

كما يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم - في حديث متفق عليه عن ابن مسعود -رضي الله عنه -: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح)[٣]

---

(١) بل على المؤمن أن يؤمن بخبر الله وخبر رسوله -صلى الله عليه وسلم - سواء صدقه المحسوس المشاهد أم لم يصدقه، وهو لابد أن يصدقه، لكن قد تبلغه الأفهام وقد لاتبلغه، وقد يحيط به البشر وقد يحجبون عنه، قال -تعالى -: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ سورة البقرة، الآية ٢٨٥. وقال -تعالى -: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ ﴾ سورة الأحزاب، الآية ٣٦. وقال -تعالى -:﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ سورة النور، الآية ٥١ .

(٢) سورة المؤمنون، الآيات ١٢ - ١٤.

(٣) ونص الحديث: حدثنا عبد الله حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أوسعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون

تعليل فسيولوجى

وكيف لا تعي، ولا تدرك عقولنا خلق سيدنا عيسى من امرأة فقط، وهي الأرض الصالحة للبذر والإثمار.[(١)] فإنا نرى جمع عنصري الذكورة

بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب

=في صحيحه في كتاب الأنبياء, باب خلق آدم وذريته, ومسلم في كتاب القدر, حديث ٢٦٤٣، واللفظ للبخاري.

(١) حاول المؤلف ـ في هذه الصفحة وما بعدها ـ أن يعلل ميلاد المسيح -عليه السلام- تعليلاً فسيولوجيا, وأن يذكر الأدلة الطبيعية والكيميائية على بعض ما ذهب إليه ... ولا شك أن هذا ضرب من الخرص والتخمين والظن الذي لا فائدة منه, ولن يقود إلى نتيجة صحيحة، ولا إلى رأي رشيد, بل أدى بصاحبه إلى الوقوع في مخالفات شرعية وعقلية, وقد ترددت في حذف هذا الموضوع, ولكن رأيت أن الرازي أورد قريباً من ذلك حيث قال: ولم قلتم: إن حدوث الشخص من غير نطفة الأب ممكن؟ قلنا: أما على أصول المسلمين فالأمر فيه ظاهر، ويدل عليه وجهان.... إلى أن قال: وأما على أصول الفلاسفة فالأمر في تجويزه ظاهر، ويدل عليه وجوه. التفسير الكبير ج ٨, ص٤٢.

فإذا كان هذا العالم مع تمكنه وقع في ذلك؛ فلا تثريب على هذا المهتدي؛ إذ هو حديث عهد بإسلام. ونسأل الله لنا ولهم المغفرة.

والحق الذي لا مرية فيه, وهو الذي عليه اعتقاد أهل الإسلام في هذا الباب وأمثاله من الآيات: الإيمان بها والتصديق لها, وعدم التكلف والتنطع في تأويل أسبابها, والبشر أعجز من أن يصلوا إلى معرفة الأسباب التي حصلت فيها هذه المعجزة أو تلك؛ لأنها وقعت بإرادة الله, وخرقت من أجلها النواميس الكونية، وخضعت لما أراد الله لها.

وحمل مريم -عليها السلام- من غير أن يمسها بشر وميلاد المسيح أخبر الله عنه أنه آية: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً﴾ سورة مريم، الآية٢١, وإذا كان آية, فليس مجال العقل أن يستقصي أسبابها, بل يجب عليه أن يقف عند حدوده, ويعلم أن هذا ليس مجال إدراكه, ولا سبيل إلى معرفته؛ لأن هذا الأمر تم بكلمة ﴿كُن﴾ فلم نعرف كيف تم, ولا نخوض في ذلك, بل لم تخلق العقول لارتياد هذا، ولقد أوضح الله لنا= في

كتابه المثال السابق لهذا المخلوق من غير أب، فقال -جل ثناؤه -: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثم قال له كُن فَيَكُونُ ﴾ سورة آل عمران, الآية٩٥. فالله -سبحانه وتعالى - خلق آدم من تراب وخلق عيسى -عليه السلام - من أم بلا أب, فسبحان من شاء أن ينشئ هذا المخلوق على هذه الصفة، ويجعله آية للناس ورحمة.

قال ابن كثير -رحمه الله -: (يقول -جل وعلا -: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ في قدرة الله حيث خلقه من غير أب ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ ولا أم، بل خلقه من تراب، ثم قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ فالذي خلق آدم من غير أب, قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى, وإن جاز ادعاء البنوة في عيسى؛ لكونه مخلوقاً من غير أب فجوز ذلك في آدم بالطريق الأولى, ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل, فدعواه في عيسى أشد بطلانا وأظهر فساداً, ولكن الرب -جل جلاله - أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى, وخلق حواء من ذكر بلا أنثى, وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر, كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى؛ ولهذا قال في سورة مريم: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ وقال هاهنا: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ أي هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا محيد عنه, ولا صحيح سواه, وماذا بعد الحق إلا الضلال).

ولما بشرت الملائكة مريم - عليها السلام- تساءلت قائلة-كما أخبر الوحي- : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾؟ فجاء الجواب لها ولكل متسائل: ﴿ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾قاطعاً كل شبهة ومفنداً كل فلسفة.

ووازن قول الله —تعالى - لزكريا: ﴿ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ حينما قال: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ ﴾ مع قوله -سبحانه - لمريم: ﴿ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ حينما قالت: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ ﴾ فهذا خلق آخر على هيئة غير مألوفة لدى البشر، فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾وفي خبر زكريا قال: ﴿ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ ؛لأن الفعل مألوف، وإن لم تتوافر أسبابه.

وإذا نظرنا في الآيات العظيمة التي أجراها الله على يدي المسيح كإحياء الموتى, وإبراء الأكمه والأبرص, وأنه يخلق من الطين فينفخ فيه، فيكون طيراً بإذن الله, وكإحياء الطير على يد الخليل -عليه السلام -, وكتحول العصا إلى حية على يد الكليم, وكتسبيح الحصى بيد الخليل محمد -صلى الله عليه وسلم - علمنا أن الله قد أجرى هذه الآيات على أيدي هؤلاء الأنبياء؛ فالله أقدر أن يجري خلق المسيح على غير مثال سابق, بل هذه الآية -أي ميلاد المسيح -

والأنوثة في الخنثى من ذرية بني آدم مماثلة في ذلك للفصيلة النباتية التي تجمع عنصري الذكورة والأنوثة في أصل واحد وشجرة واحدة، فتتلاقح، وتثمر من ذاتها, قال -تعالى -: ﴿ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ﴾[1]

وهذه هي إحدى معجزات النبي الأمين والقرآن الكريم التي لا تقع تحت عد ولا حصر, والتي أيدها، وأثبتها العلم بعد مئات السنين من نزوله, وقرر أن شجيرات الحبوب والفواكه تتلاقح من ذاتها لاجتماع عنصري التذكير والتأنيث بها[2]، وقرر أيضاً أن بعض الأشجار المعمرة الكبيرة تحمل بملاقحة الرياح,قال -تعالى -: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾[3] ألا فليطأطئ العلم الحديث رأسه صاغراً ومقراً للقرآن بالإعجاز، وبعجزه أمامه في جميع الأزمنة والعصور[4]. وهذه الظاهرة ليست شائعة في الحيوان والإنسان لكمال تكوينهما

كغيرها= =من الآيات لا ترد إلى الأصول العلمية والأقيسة العقلية؛ بل الشأن فيها وفي أمثالها: التصديق والتسليم والإذعان والإيمان, ونقول كما قال ربنا -جل وعلا -: ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٧ ﴾ سورة غافر, الآية ٥٧.

(١) سورة الحج, الآية٢.

(٢) نرى كل حبة من سنبلة القمح داخل غلاف متين، وتعلوها (سفاية) محددة تقيها من الهوام داخلها طلع كطلع النخل تقريباً يلقح الأنثى من حبة القمح, وفي الذرة الشامية نجد في أعلى كل عود (الكذاب) وهو يشبه تمام الشبه شكل طلع النخل بعد خروجه من جرابه, تجد بداخل حبيباته طلعاً متصلاً بخيوط شعرية متصلة بالحبوب لتلقحها، وهكذا في جميع الحبوب والبقول والثمار.ن.

(٣) سورة الحجر, الآية٢٢.

(٤) في هذه الأشجار تهرم، وتعجز شعاب الذكورة عن تحصيل مادتها، فتتنبه حساسية الأنوثة في أعالي الشجرة، وتلتقط من الهواء ما يحمله من عبق ورائحة ذكرها، فتنتج وتثمر.ن.

بالاستقلال والانفصال عن الأرض, أما المزروعات فلا تترك أمها، ولا تستغني عن منبتها ناشبة أصولها وشعابها في باطن الأرض، فتجمع لها عنصري الحياة ـ الذكورة والأنوثة ـ معاً، فتنتج، وتثمر ـ وبالمثل يكون رحم الأنثى وآلاته ـ إذا ما تم نضوجه، وقوي على تربية نواة الخلق وبذرة التسلسل, يفتح أبوابه مرسلاً أسلاكه المغناطيسية؛ لتبحث لـه، وتنقب عن أقل ذرة من ذرات التناسل؛ ليلتقطها، ولو وجدها في (مغطس) عند اغتسالها بعد غسل رجل أو عند لبسها بعض ملابسه أو استجمارها بما تجمر به, جذبها إليه مقفلا أبوابه مرصدا حجابه عاكفا على تربيتها وتغذيتها ماراً بها في جميع أطواره العادية لكل رحم وكل أنثى, فيتم الحمل والوضع بلا مواقعة الرجل العادية.

فما لنا نستنكر ذلك في شأن سيدنا عيسى وحمل أمه السيدة مريم به, وهي التي لحظها الله بعنايته منذ نشأتها, فأنبتها نباتاً حسنا, ووهبها ما تتغذى به, جامعاً لها فيه أكمل عناصر الحياة وبذرة التذرى ونواة الخلق[1]، فسبحان الوهاب الرزاق.

---

(١) ويحمل إلينا الأثير الأنباء العلمية التي تنير عقولنا, قال -تعالى -:﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ ﴾ وكذلك الأخبار السياسية والتجارية وغيرها، وتحمل إلينا الألحان المطربة التي تشفي الأمراض العصبية وتزيل الأحزان.ن.
الملقيات ذكرا: هي الملائكة كما ذكر ذلك ابن كثير، وعبد الرحمن السعدي في تفسير يهما. انظر تفسير ابن كثير جـ٤, ص٤٥٩, وتفسير ابن سعدي ص ٩٠٣. وهذه الوسائل، وإن نقلت خبراً، وحملت ذكراً، فليست هي المرادة بقوله -تعالى -:﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ ﴾ وأما قول المؤلف: تحمل إلينا الألحان المطربة التي تشفي الأمراض... فلعله لم يطلع على نصوص تحريم الغناء وآلاته، كمثل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف) رواه البخاري في كتاب الأشربة,باب ما جاء فيمن يستحل الخمر، ويسميه بغير اسمه, جـ٦, ص٢٤٣. ومثل قوله -تعالى -: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ ﴾ سورة لقمان, الآية ٦. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: (لما ذكر حال السعداء ـ وهم الذين يهتدون بكتاب

الله, = =وينتفعون بسماعه، كما قال -تعالى-: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ - عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله, واقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب, كما قال ابن مسعود في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قال: هو والله الغناء. تفسير ابن كثير جـ٣, ص ٤٤١.

ولم يجعل الله شفاء هذه الأمة فيما حرم عليها، كما قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم) رواه البخاري في كتاب الأشربة, باب شراب الحلواء والعسل, جـ٦, ص ٢٤٨. وإنما أغناها الله بهذا الكتاب العظيم الذي أنزله شفاء لها ورحمة لها، فقال -جل ثناؤه-: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة الإسراء, الآية ٨٢. وقال -سبحانه-: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ سورة فصلت, الآية ٤٤.

المنارة الرابعة
نشأة سيدنا عيسى

قد تبين فيما تقدم من المنارات ما أودعه الله في المرأة من الآلات والأجهزة التي تربي الحيوان المنوي ـبذرة التكوينـ حتى إذا ما تم تكوينه وتصويره تلفظه خارجاً لتستريح تاركة عناصر تغذيته لآلات وأجهزة أخرى؛ حتى يقوى عوده، ويشتد عظمه, فتسلمه لأصل نشأته ومصدر بذرته الأرض, وقد لا تنمو، ولا تتخلق البذرة لفقدان معمل تربية الجنين لآلات الفرز وأجهزة التغذية,وبذلك تكون المرأة عاقراً. وبالمثل قد يكون الرجل عقيماً - أيضاً - لفقدانه هذه الآلات التي تكرر، وتعزل مواد البذرة ونواة التكوين, وقد يطرأ الخلل على هذه الآلات، فيبطل عملها، ويقل مفعولها؛ لهول مصيبة أو شدة صدمة نزلت به, فتفقد نواة التكوين صلاحيتها للنمو والتخلق. وقد يفقد الرجل ذلك أيضاً مع وجود جميع الآلات إذا تناول مواد مخدرة قاتلة للحيوان المنوي ومضعفة للقوى العقلية والتناسلية.

تعليل

قرر علماء الطبيعة أن البنت البالغة القوية, كاملة الحيوانية, ناضجة الأنوثة إذا توفرت فيها الغدد المؤدية لكمال الرتبة الإنسانية يجوز أن يتحلل من مجموعها المنوي مني صالح يتطور في الرحم تطور مني الرجال، فيكون منه

إنسان تنقصه قوة الشهوة الإنسانية[١]، نعم، إن خفاء السبب يوجب العجب, ولكن في السيدة مريم لم يخف السبب, فقد أوضح لنا -تعالى- أنه لحظها بعنايته منذ نشأتها: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ دلنا بذلك على سبب خلق سيدنا عيسى[٢]؛ فإن العنصر الحيوي -وهو عنصر نواة الذرية- يوجد في المرأة، إذا تغذت بثمار مخصوصة جامعة لمواد بذرة التناسل كالأشجار التي تجمع عنصري الحياة -التذكير والتأنيث- لغوص جذورها في باطن الأرض، فتجمع لها هذين العنصرين معاً، فتنتج، وتثمر.

وكذلك المرأة التي تتغذى بثمار مخصوصة جامعة للمواد التي يتولد منها الحيوان المنوي فإنها تحمل، وتلد بدون وطء رجل لها؛ لأن نواة الخلق قد وضعها الله لها فيما تتعاطاه من ثمار وأغذية, وذلك لم يعطه أحداً من العالمين إلا السيدة مريم[٣] التي أكرمها الله به,قال -تعالى-: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا

---

(١) لا شك أن مانقله المؤلف عن علماء الطبيعة مخالف للطبيعة, فلم يحفل التاريخ في قديمه وحديثه بخبر يصدق ذلك سوى هذه الآية العظيمة والمعجزة الباهرة, وهي حمل مريم -عليها السلام-, ولا شك -أيضاً- أن الآيات لا يقاس عليها، ولا ينتظر حدوث مثلها, والحق الذي لا مرية فيه أن من سنن الله في هذا الكون ومن آياته الباهرة ما تضمنه قوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجًا ﴾ سورة فاطر, الآية ١١, وما جاء في قوله -سبحانه-: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة الذاريات, الآية ٤٩. وأن السبيل الوحيد لخلق هذا الإنسان هو ما أخبر الله عنه في قوله: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ سورة الطارق, الآيات ٥ -٧.

(٢) انظر تفنيد هذا التعليل في هامش (١) ص ٥٤ من هذا الكتاب.

(٣) إجابة لدعوة أمها حنة جدة سيدنا عيسى﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ قال البيضاوي: (تكلمت صغيرة كعيسى، ولم ترضع ثديا قط، وكان رزقها ينزل عليها من =

ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[١] من هذا نعلم أن الله أراد أن يكمل تكوينها، فربّى بها العنصر الحيوي -الذي هو أصل الذرية والنسل- منذ نشأتها وقبل بلوغها مبلغ النضوج,حتى إذا ما تم تكوينها، وبلغ نضوجها حده, أصدر أمره إليها -سبحانه وتعالى- وأخبرها بما تولد فيها مما رزقها من غذاء ونعم, حتى لا تصعق بغتة عند عدم علمها, وعند نزول أمره إليها قام رحمها -وهو عضو تربية الجنين في كل أنثى- وفتح بابه لاجتذاب بذرة التكوين التي تولدت، وتربت مما رزقها الله به من غذاء ممتاز[٢]، فتجمعت، وتكونت حالة صدور أمره -سبحانه وتعالى- إليها، وفتح رحمها بابه مادا ً أسلاكه المغناطيسية لاجتذابها, فانقادت مستكملة عناصر الحياة, واحتوى عليها، وأقفل بابه، وعكف على تغذيتها وتنميتها مارا ً بجميع أطوار التكوين والخلق الطبيعي لكل رحم وكل أنثى ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾[٣]

= الجنة).ن. دعوى أنها اشتملت على نواة الخلق بسبب الغذاء الذي تغذت به, وأن ذلك من استجابة الله لدعاء أمها قول لا يسنده دليل,و يخالف النصوص, وينقصه التحقيق, وهو قول على الله بلا علم.

(١) سورة آل عمران, الآية ٣٧.

(٢) متميز عن ثمارنا العادية وما تنتجه أرضنا مغايرا ً لتراكيبها الكيماوية حتى في الصورة, فقد كان يأتيها في صورة فاكهة الشتاء صيفا ً، وبالعكس في صورة فاكهة الصيف شتاء. ن. انظر تنفيد هذا التعليل في هامش (١) ص ٥٤ من هذا الكتاب .

(٣) سورة مريم الآيتان ٣٤, ٣٥, تأمل ما تضمنته هذه الآيات وماقبلها في شأن عيسى -عليه السلام- وأنه آية من آيات الله، و مع ذلك ترد مثل هذه التمحلات.

شاهد التحقيق والإثبات

وقد جعل الله سيدنا زكريا شاهداً على الظواهر الخارقة للعادة في نظر العالم, حتى يشهد حكم الله البالغة في الخلق والتكوين, ويؤمن بقدرته على ما هو أعظم وأكبر, فقد وهبه الله غلاماً، وهو في ظرف يستبعد فيه أن ينسل, وامرأته في حالة لم تجر العادة بأن يكون مثلها أهلاً للحمل والوضع.

كان سيدنا زكريا قد بلغ من الكبر عتياً، وزوجه عاقراً, ولكن ذلك لا يحول دون قدرة الله ﴿ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]

(١) إشارة إلى خبر زكريا -عليه السلام - في سورة آل عمران حيث قال -تعالى -: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾الآيات ٣٨ - ٤٠, وتكرر ذكر هذا الخبر في صدر سورة مريم.

المنارة الخامسة

تحليل وتعليل

لعلمه الواسع -جل جلاله - بما سيكون لنشأة سيدنا عيسى غير المألوفة من فتنة, جعل الله حججاً واضحة, وبراهين ساطعة من العلم, تقرب لأذهاننا الخفي المبهم ؛ إذ كيف نوقن، ونؤمن بأن ما نتناوله يوميا من ثمار الأرض والتراب يكون دماً وعروقاً وأعصابا وجلداً ولحماً الخ : وأن هذا الغذاء نفسه يكون في الرجل آلات التناسل من قضيب وخصية، وأنه هو ذاته الذي يكون في المرأة آلات التناسل من مبيض ومهبل وفرج ورحم.

وكيف نصدق أن رجلاً كاملاً يتكون من نقطة ماء, ومن هذه النقطة نفسها تتكون امرأة كاملة الأنوثة والجاذبية, قال -تعالى -: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[1] كيف نصدق هذا، ولا نصدق بما جعله الله سبباً ودليلاً على وجود سيدنا عيسى, فإنه -سبحانه وتعالى - لحظ السيدة مريم بعنايته ورعايته منذ نشأتها: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[2]، ثم رزقها ما تتغذى به جامعاً لها فيه أكمل عناصر الحياة, فيكون دليلاً ظاهراً على خلقه ونشأته.[3]

---

(١) سورة النجم,الآيتان ٤٥, ٤٦.

(٢) سورة آل عمران, الآية٣٧.

(٣)بل الدليل هو قوله -سبحانه -: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ سورة آل عمران, الآية,٥٩ وقوله سبحانه: ﴿ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة المائدة, الآية ١٧, وقوله -جل ثناؤه -: ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ ﴾ سورة غافر, الآية ٥٧.

الأدلة الطبيعية والكيماوية

قرر علماء الحياة في علم النبات والحيوان تمام الشبه بينهما في أطوار الخلق, فقالوا: إن الأرض كانت في أصلها ملتهبة، ثم بردت، ثم تكاثفت الأبخرة عليها، وصارت ماء, ثم دبت الحياة على شكل الأميبيا(AmiBia) أي الطحلب, وهي أدنى الكائنات الحية من النبات[١]، قال -تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[٢] وقد أشرنا إلى ذلك في المنارة الثالثة في التعليل الفسيولوجي من اجتماع عنصري الذكورة والأنوثة في الخنثى من ذرية بني أدم مماثلة في ذلك للفصيلة النباتية. وتوجد هذه الخاصية في الحيوانات البكرية التي تتوالد، وتنسل بدون ذكر ومن غير لقاح. وقد أفاض العلماء والأطباء في التنويه بقيمة الاكتشاف الكيماوي لمادة(الهرمون)وما لها من التأثير في النمو, وتقوية بعض الأعضاء, حتى تتحول عن طبيعتها، فتنمي عنصر الذكورة في الأنثى، وتغذيها بما تجمعه من مواد في الدم تغذي به غدد الذكورة، وتقويها، فتبرزها في الأنثى,وإليك مثلاً: إذا حقنت دجاجة بهرمون الذكر تنمحي فيها صفات الأنوثة، وتختفي تماماً, ثم يظهر لها عرف كعرف الديك، وتصيح صياحه.

---

(١) الحق الذي ورد عن الحق -سبحانه - في هذه المسألة: أن الله خلق كل دابة من ماء, قال -تعالى -: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ سورة النور, الآية ٤٥ . وقال -تعالى - ذكره: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ سورة الأنبياء, الآية ٣٠, وخلق ـ سبحانه ـ من كل شيء زوجين اثنين, قال -تعالى -: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ سورة الذريات, الآية٤٩ ؛ ليكتمل نظام الأحياء, ولتتضح الحقيقة أمام الأحياء.

(٢) سورة الأنبياء, الآية٣٠.

وقد قام الإنسان بما فطره عليه ربه من علم بخصائص الأشياء وأسمائها، وحقق بعضاً منها في علمي الطبيعة والكيمياء[١]، وشرح إيجاز القرآن الكريم في سرد المسائل العلمية التي يسفر علم البشر عن معرفتها, وقد ساق لنا القرآن دليل الطبيعة العلمي، فقال: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾[٢] وساق دليل الكيمياء العلمي، فقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٣]، فرزقها بالغذاء الذي ينمي

---

(١) تطالعك كتب الكيمياء بالغريب المدهش، وتبين لك مايحدث من تفاعلات تغير طبائع الأشياء, وتقلب خواصها, فمثلاً المواد الدهنية التي تعلق بالأيدي والملابس, فتتسع بقعها، وتغير لونها، وتزيد في اتساخها بما تجذبه إليها من أتربة, كيف تنقلب بالمواد القلوية والتفاعلات الكيماوية إلى الضد، فتكون أداة للتنظيف وإزالة الأوساخ، وتصير صابونا. ن.

(٢) الآية ٣٧ من سورة آل عمران, لعلمه الواسع بما يكون لنشأة سيدنا عيسى المغايرة للمعروف والمألوف للناس من الفتنة والضلال بين ما خص به السيدة مريم من الأسباب الطبيعية في محكم التنزيل التي قال عنها تفسير الجلالين والجمل: إنها كانت تنمو في اليوم كما ينمو المولود في عام, وكمل الله هذا النمو بما أمدها به من مواد كيماوية وتراكيب ربانية, حتى لا تشكل علينا مماثلته لآدم؛ لنعلم أن القرآن معجزة الدهر الخالدة في جميع الأزمنة والعصور، قال -تعالى -: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ ن. والآية ٥٣ من سورة فصلت, وانظر تفسير الجلالين ص١٢٣.

(٣) سورة آل عمران, الآية ٣٧, سبق أن أوضحنا في التعليق على ص٥٤ من هذا الكتاب أن الآيات الإلهية التي تخرق فيها النواميس الكونية لا تخضع للأدلة العلمية والقياسات العقلية, ولا يتكلف العقل في تعليلها وتحليلها؛ لأن هذه الأمور الغيبية ليست من مدركات العقول, ولم نتعبد بمعرفة الأسباب التي أدت إليها؛ وإنما أوجب الله علينا الإيمان بها, والقبول لها, وأن نستيقن أنها إنما وقعت بمشيئة الله وإرادته,وأنه -سبحانه - إذا شاء عطل الأسباب عن نتائجها, وإذا شاء خلق النتائج بدون أسبابها, فتبارك الله أحسن الخالقين.

هذا الإنبات ويمده بالقوة؛ ليأتي بثمرته المطلوبة, ونتيجته المقصودة, وليتماثل سيدنا عيسى مع جده آدم, فآدم من تراب, وما جعله الله نواة لبذرته وسبباً لنشأته هو ما رزق أمه به من ثمار الأرض والتراب, قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾[1]، وإن خلق آدم من غير أب وأم أكبر وأعظم من خلق سيدنا عيسى من السيدة مريم, وهذا هو الحق الذي لامراء فيه ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[2] وقضى على كل شبهة في أصل تلك النشأة بما ساقه من أدلة وقواعد لعلمي الطبيعة والكيمياء, قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[3] ولكثرة لجاجتهم في الاستفهام والسؤال عن أصل وجود سيدنا عيسى

(١) سورة آل عمران, الآية ٥٩.

(٢) سورة آل عمران,لآية ٦٠.

(٣) سورة آل عمران, الآية ٦١. أمرنا القرآن بالتفكر والتدبر في جميع الموجودات؛ ليعلم جميع الناس أن القرآن أنزل لكل زمان وكل مكان, وأنه معجزة الدهر الخالدة, وأن كل ما حصل في الأمم السابقة وما يحصل في اللاحقة من اختراع وعلم إنما هو قطرة من بحار القرآن الكريم الذي لا يزال عامراً بالأسرار العلمية ينتظر من يظهرها. وقد حرمنا في هذا الزمن من الانتفاع بدرره الغالية وأسراره العالية قصاصا منا لتفريطنا فيما أنزله الله إلينا من علم, وما أمرنا به من أحكام, ولتركنا ما حثنا عليه من تفكير في المخلوقات لنعرف حقائقها, ونتقدم الأمم, ونسود الشعوب, قال -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ الآيتان ٥١, ٥٢ من سورة الأعراف, ولقد رأينا في كل عصر ومكان أن الأمم لا تسعد ولا تتقدم ولا تسود غيرها إلا بالرسوخ في العلم. وها نحن أولاء نرى أن أهل العلم والفن والمعرفة بمقتضيات الحياة =

لجهلهم بقوة الله وقدرته وبالعلم الصحيح للطبيعة والكيمياء بين لهم تمام المماثلة في الخلق من جميع الوجوه المعتبرة بما هو معلوم لهم وثابت في كتبهم.

استواء جميع الناس في نفخ الروح كآدم وعيسى

قال -تعالى -: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾[1] فصّل وجه الشبه في الخلق والتكوين، فقال: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ

= هم الذين تغلبوا على غيرهم, قال -تعالى -: ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الآية ٦٥ من سورة الأنفال, فرتب النصر على العلم بمعداته وبأسرار الحياة وغاية العيش على كثرة العدد، وقد رأينا في الحرب الحاضرة كيف انتصر الحلفاء على غيرهم بالقنبلة الذرية التي هي وليدة أبحاث الكيماويين, فلعل المسلمين ينتبهون.ن.

آية سورة الأنفال التي استدل بها المؤلف منسوخة بالآية التي بعدها، وهي قوله -تعالى -: ﴿ ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ ﴾ والغلبة المذكورة في الآية هي لمن آمن بالله رباً, وبمحمد -صلى الله عليه وسلم - نبياً، وبالإسلام دينا, وأعد لعدوه ما استطاع من العدة، أما إذا تجردت الأمم من الإيمان، وتقابلت أمم الكفر بعضها مع بعض فلا شك أن الغلبة تكون لمن أخذ بأسبابها.

(١) الآية ١٧١ من سورة النساء. والكلام هنا يحتاج إلى مزيد من البسط والإيضاح آثرت أن أعلق عليه تعليقاً يسيراً يوضح المراد من كلمتي ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ ﴾ و﴿ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾ فالمراد من ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ ﴾أنه مخلوق بكلمة ﴿كُن﴾ حيث وردت في القرآن الكريم ثلاث آيات في ثلاثة مواضع تبين أن المراد من قوله: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ ﴾ هو قوله: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ وهذه الآيات هي: –

---

١ - قوله -تعالى -: ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ سورة آل عمران، الآية٤٧ .

=

=٢ - قوله -تعالى -: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ سورة آل عمران, الآية٥٩ .

٣ - قوله -تعالى -: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ سورة مريم, الآيتان ٣٤ -٣٥. من هذه الآيات يتضح أن قوله: ﴿ كُن فَيَكُون﴾ هو تفسير لقوله -تعالى -: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ فتكون الكلمة التي ألقيت إلى مريم هي كلمة: ﴿كُن﴾.

أما قوله: ﴿ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ فمعناه أنه مخلوق من روح مخلوقة,وأضيفت الروح إلى الله -عز وجل - على وجه التشريف, يوضح ذلك قوله -تعالى -: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾﴾ سورة مريم, الآيات١١ -١٩. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بعد أن أورد الآيات التي ذكرت إرسال الروح القدس إلى مريم: (فهذا الروح - الذي أرسله الله إليها ليهب لها غلاماً زكياً - مخلوق، وهو روح القدس الذي خلق المسيح منه ومن مريم, فإذا كان الأصل مخلوقاً فكيف الفرع الذي حصل به، وهو روح القدس؟ وقوله عن المسيح: ﴿ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ خص المسيح بذلك؛ لأنه نفخ في أمه من الروح فحبلت به من ذلك النفخ, وذلك غير روحه التي يشاركه فيها سائر البشر؛ فامتاز بأن حبلت به من نفخ الروح؛ فلهذا سمي روحاً منه. ثم قال: ولهذا قال طائفة من المفسرين: ﴿ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ أي: رسول منه,فسماه باسم الروح الرسول الذي نفخ فيه, فكما يسمى﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ يسمى روحاً؛ لأنه كون بالكلمة, لا كما يخلق الآدميون غيره, ويسمى روحاً؛لأنه حبلت به أمه بنفخ الروح الذي نفخ فيها, لم تحبل به من ذكر كغيره من الآدميين، وعلى هذا فيقال: لما خلق من نفخ الروح ومن مريم سمي روحاً بخلاف سائر الآدميين؛ فإنه يخلق من ذكر وأنثى، ثم ينفخ فيه من الروح بعد مضي أربعة أشهر) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح,ج٢,ص٣٠٣, وانظر ص١٤١, ٢٩٤ - ٢٩٥

أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ أي أنزل إليها أمره, كما قال -تعالى - في آدم: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾[(١)] ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾[(٢)] كما قال في التوراة بسفر التكوين إصحاح ١ عدد ٣: (وقال الله ليكن نورا فكان نورا)[(٣)] وقال مزمور ٣٣ عدد ٦ :(بكلمة الله صنعت السموات)[(٤)]؛ لذلك خاطب الله أهل الكتاب بالمعلوم لهم والثابت في كتبهم، فقال: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾، وهي كلمة: ﴿كُن﴾ التي صدرت عنها جميع العوالم, وتبين ذلك في المنارة الأولى.

وقوله -تعالى -: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ يفسره قوله: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[(٥)] قال سفر التكوين إصحاح ٢ عدد٧:(ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية)، وقال مزمور٣٣ عدد٦:(بكلمة الله صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها) قال -تعالى - مبيناً خلق آدم وخلق جميع ذريته ونسله ونفخ أرواحهم: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ

منه, وتفسير القرآن العظيم لأبي الفداء ابن كثيرج١,ص٥٩٠,وانظر تفسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن بن سعدي,ص١٣١ .

(١) سورة آل عمران, الآية ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران, الآية ٤٧ .

(٣) وفي طبعة ١٩٩١م جاءت كلمة نور بالرفع (وقال الله: ليكن نور، فكان نور)تكوين ١ : ٣.

(٤) وفي طبعة ١٩٩١م (بكلمة الرب صنعت السموات والأرض) المزامير ٣٣ :٦.

(٥) سورة الإسراء,الآية٨٥,وقد تقدم الكلام في ص(٦٨)من هذا الكتاب على قوله: ﴿وروح منه﴾.

مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ [١] قال بمعنى هذا سفر زكريا إصحاح ١٢ عدد٢ : (يقول الرب باسط السموات ومرسي الأرض وجابل روح الإنسان في داخله) [٢] وقال -أيضاً - سفر الجامعة إصحاح١٢ عدد٧ : (فيرجع التراب إلى الأرض كما كان, وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها)، فنبههم إلى ما في كتبهم فقال: ﴿وروح منه﴾ أي أنه -تعالى - نفخ روح سيدنا عيسى عندما سواه في رحم أمه، كما نفخ أرواح بني آدم في أرحام أمهاتهم, فهو -سبحانه وتعالى - مصدر جميع المخلوقات [٣]، قال -تعالى -: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [٤].

---

(١) سورة السجدة ,الآيات٧ - ٩ .

(٢) في طبعة ١٩٩١م (يقول الرب باسط السموات ومؤسس الأرض وجابل روح الإنسان في داخله) زكريا,١٢ : ١.

(٣) أي بارئها وخالقها ومبدعها.

(٤) الآية ١٣ من سورة الجاثية, المعلوم أن جميع أرواح الخلائق من أمر الله -تعالى - لقوله: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ وشرف الله الإنسان، وأضافه إلى نفسه, وخصه بذكر النفخ لما نيط به من تكليف, فأودعه سره ليكون خليفته في أرضه, قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢ ﴾ سورة الأحزاب, الآية ٧٢, بين الله مقام الإنسان وعلو درجته على سائر المخلوقات المشتملة عليها السموات والأرض؛ لأنه -تعالى - خلقها لأجله وسخرها لخدمته, قال -تعالى -: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ سورة لقمان, الآية, ٢٠.

وقد أطلقت التوراة والإنجيل على سيدنا جبريل كلمة روح,وروح الله, والروح القدس[(١)], كما سماه بذلك القرآن الكريم[(٢)] . قال سفر العدد في التوراة إصحاح ١١ عدد٢٩ قال سيدنا موسى : (يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم)، وقال سفر القضاة إصحاح ١١ عدد٦ : (فحل روح الله على شاول) وفي إصحاح ١٦ عدد١٢ : (وحل روح الله على داود)، وفي سفر صمويل الثاني إصحاح٢٣ : (وحي داود بن يسى ووحى الرجل القائم في العلى مسيح إله يعقوب ومرنم إسرائيل الحلو,روح الله تكلم بي وكلمته على لساني)[(٣)]،وقال حزقيال إصحاح ٣٧ عدد١٤ : (وأجعل روحي فيكم فتحيون)، وقال سيدنا زكريا مؤنباً لليهود على كفرهم بالشرع

ولعظم مهمة الإنسان في الدنيا خصه بالنفخ, وبواسطته تلقى العهد من ربه ، وصار خليفته في أرضه لإقامة العدل وبسط السلام ونشر الرحمة ، وبالجملة لتنفيذ أوامر الله, فإن قام بذلك على الوجه الأكمل كان مظهراً للصفات الربانية في جلالها وكمالها, فيلقى الله راضياً عنه ، ويرضيه بجزيل الأجر والعطاء, وإن انحرف عما كُلّف به ، وظلم نفسه بالعصيان والتمرد على خالقه نال شديد العقاب وسوء العذاب. ن.

(١) يستدل المؤلف بهذه النصوص المتضمنة لكلمة(روح)التي أوردها في هذه المنارة –سواء كانت من القرآن الكريم أم من نصوص أهل الكتاب–على أن هذه الكلمة (روح الله)أو(روح منه) وصف بها المسيح –عليه السلام - كما وصف بها غيره, وبهذا يسقط استدلال النصارى بهذه النصوص على ألوهية المسيح.

(٢) ورد ذلك في القرآن الكريم كثيراً كقوله –تعالى -: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ سورة الشعراء, الآية١٩٣,وكقوله –جل ثناؤه - : ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ سورة البقرة, الآية ٨٧.

(٣) وفي طبعة ١٩٩١م (وحي داود بن يسي ووحي الرجل القائم في العلا مسيح إله يعقوب ومرنم إسرائيل الحلو روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني) صموئيل الثاني : ١ - ٢.

الذي جاءهم به سيدنا جبريل -عليه السلام- إصحاح ٧ عدد١١: (فأبوا أن يصغوا وأعطوا كتفا معاندة)... إلى أن قال: (لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين).

وقالت الأناجيل عن سيدنا عيسى عندما بدئ بالوحي في متى إصحاح ٣ عدد١٦: (فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة، وآتياً عليه)، وعبر عنه بالروح فقط في إصحاح ٤ عدد١[1] كما عبر بذلك -أيضاً- إنجيل مرقس إصحاح ١ عدد١٠, ١٢[2].

كما قرر إنجيل لوقا أن الروح القدس نزل على الأنبياء المعاصرين لسيدنا عيسى -عليه السلام- فقد حل على سيدنا زكريا في إصحاح١ عدد٦٧ [3], وعلى سيدنا يحيى في عدد٨٠[4] وقال في إصحاح٢ عدد٢٥ عن رجل اسمه سمعان (والروح القدس كان عليه), وفي عدد٢٦: (وكان قد أوحي إليه بالروح القدس) وعبر بالروح فقط في عدد٢٧ [5].

كما عبر القرآن الكريم -أيضاً- عن وحي الله وكلامه بكلمة روح, كما قال بذلك الإنجيل والتوراة أيضاً, قال -تعالى-: ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِى

(١) قال متى في إنجيله: (ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح)٤: ١.

(٢) قال مرقس في إنجيله: (رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه...وللوقت أخرجه الروح إلى البرية)١: ١٠, ١٢.

(٣) قال لوقا في إنجليه: (وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس)١: ٦٧.

(٤) قال لوقا في إنجليه: (أما الصبي فكان ينمو ويتقوى بالروح)١: ٨٠.

(٥) هو قول لوقا: (فأتى بالروح إلى الهيكل)٢: ٢٧.

ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾[١] وقال - أيضاً -: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾[٢] وقال بمعنى هذا إنجيل يوحنا بإصحاح ٦ عدد٦٣ : (الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة)

فما أنزله الله -سبحانه وتعالى - يسمى(هدى الله)[٣] أو (روح الله)[٤] أو(وحي الله)[٥] أو(نور الله)[٦] قال -تعالى - عمن هداه لنور العلم

(١) سورة غافر, الآية ١٥ .

(٢) سورة الشورى, الآية ٥٢ .

(٣) كما قال -تعالى -: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ سورة الزمر, الآية ٢٣ .

(٤) لم يرد في القرآن الكريم إطلاق روح الله على القرآن, بل ورد تسميته روحاً فقط, فقال ـ تعالى ـ: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ ﴾ سورة النحل, الآية٢, وقال ـ تعالى ـ :﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا ﴾ سورة الشورى, الآية ٥٢ .

(٥) هو قوله –تعالى -:﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ سورة الأنبياء، الآية٤٥.

(٦) كما في قوله -تعالى -:﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ سورة النور, الآية ٣٥, ويسمى أيضاً رحمة وعلماً,قال -تعالى -:﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾﴾ سورة الكهف, الآية٦٥, وقال تعالى :﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ سورة البقرة, الآية ١٠٥ , ويسمى أيضاً شفاء, وموعظة.

الحقيقي والوحي الصحيح: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[١]، وقال بمعنى هذا إنجيل يوحنا إصحاح١١ عدد ١٣: (الأب الذي في السماء يعطي الروح القدس للذين يطلبونه)، وقال الحواريون بمعنى هذا في سفر الأعمال إصحاح ٥ عدد ٣٢: (الروح القدس أيضاً الذي أعطاه الله للذين يطيعونه)

والحق الذي لا غموض فيه أن من يعتقد أن رجلاً خلق من تراب، وهو آدم[٢]، وأن ضلعاً من ذلك الرجل خلقت منه امرأة هي حواء[٣] وأن امرأة عاقراً لا تحيض، ولم تحمل في شبابها تحمل، وتلد في شيخوختها[٤]- من يعتقد ذلك - كيف يعجب من فتاة بالغة خلق الله فيها

---

(١) سورة المجادلة الآية٢٢ .

(٢) قال -تعالى -: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ﴾ سورة السجدة، الآيتان٧, ٨، وقال -تعالى -: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ ﴾ سورة فاطر، الآية ١١.

(٣) قال -تعالى -: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ ﴾ سورة النساء, الآية ١, وقال -تعالى -: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ ﴾ سورة الأعراف، الآية ١٨٩ .

(٤) تلك هي امرأة زكريا أم سيدنا يحي -عليهما السلام -. ن. قال -تعالى -: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا

ولداً بدون وطء رجل لها؟وكيف تلجئه الوساوس والأوهام إلى أن يستعظم ذلك على قدرة الله, ويتخبط في لجج الضلال وبحار الشرك,وينحرف عن طريق الحق والصراط المستقيم, ويعتقد أن هذا الولد له شبه أو صفة من صفات من أنشأ الكائنات من العدم؟ ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[١]

ولما كان خلق سيدنا عيسى -عليه السلام - من غير أب ليس كالعادة المعروفة لجميع الناس, أرسل الله إلى السيدة مريم الملك[٢] ظاهراً، وأمره أن ينفخ فيها الروح لثلاثة أسباب[٣] :

وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة آل عمران,الآيات ٣٨ - ٤٠.

(١) سورة الحج,الآية٧٤.

(٢) لم يخص الله السيدة مريم وحدها بإرسال الملك إليها,بل تساوت معها السيدة هاجر- إكراماً لابنها العظيم سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين -كما أثبت ذلك سفر التكوين إصحاح ١٦عدد ١١ : (وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل) وفي إصحاح ٢١ عدد٧ (ونادى ملاك الله هاجر من السماء، وقال لها ما لك يا هاجر؟ لاتخافي !لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو, قومي احملي الغلام, وشدي يدك به ؛لأني سأجعله أمة عظيمة)، وهذه الفقرات وردت في طبعة ١٩٩١م برقم١٧ -١٩,ولم يكن أمة عظيمة من أولاد سيدنا إسماعيل إلا ابنه محمداً -صلى الله عليه وسلم -, الذي جمع الأمة العربية- وهي ذرية سيدنا إسماعيل -وألف بينها, ووحد كلمتها ؛ فصارت بذلك قوية عزيزة مرهوبة الجانب, عظيمة الشأن, وهي الأمة المحمدية التي أظهر شعارها، وخلد ذكرها محمد -صلى الله عليه وسلم -. ن.

(٣) انظر هامش رقم (١) في ص(٥٤) وليست هذه الأسباب هي التي من أجلها أرسل الله الروح القدس إلى مريم, فما خفي علينا من حكمة الحكيم وعظيم تدبيره أعظم مما علمنا, وقد ورد في القرآن الكريم أن الله أرسل الروح القدس إلى مريم -عليها

أولاً: ليعلمها بجزيل ما وهبه لها ربها وشدة عنايته بها، فخصها بهذا الأمر، واصطفاها على جميع نساء عصرها.

ثانياً: حتى لا تصعق من وجود حمل بغتة بدون سابق علم لها به من قبل.

ثالثاً: لتحافظ على ما رزقها ربها، ولا تجهض نفسها، وتسقط جنينها أرسل الله الملك؛ لينفخ الروح في الرحم, قال - تعالى -: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[1]. وقال بذلك -أيضاً- إنجيل لوقا إصحاح ١عدد١٥: (ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس).

السلام - ليهب لها غلاماً زكياً,قال -تعالى -: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ سورة مريم,الآية١٩, ويمكن أن يضاف إلى الأسباب التي ذكرها المؤلف الأسباب التالية:

١ - أن التدابير الإلهية والمراسيم الربانية تتنزل بها الملائكة المكرمون إلى من شاء من خلقه, لذا اقتضت حكمته -سبحانه- أن يبلغ جبريل -عليه السلام- مريم بهذا التكريم الإلهي. =

= ٢ - أن الله ـ سبحانه ـ وتعالى أمر جبريل -عليه السلام- أن ينفخ في مريم -عليها السلام- ذلك الروح الزكي -وهو روح عيسى - عليه السلام- لذا أرسل الله جبريل إلى مريم؛ لينفخ فيها هذا الروح.

(١) سورة التحريم, الآية١٢.

التمجيد أوالبراءات الأربع

البراءة الأولى:

ولغلظ القلوب وكثرة الجحود ساورهم الشك والظن؛ فرموا السيدة البارة التقية الصديقة الوفية بالإثم والبهتان,وقد كانت تخشى ذلك حتى تمنت الموت عندما رأت هذا الوليد، وهو دليل الاتهام، فقالت: ﴿يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾[1]، وصدقت فراستها, فبعد الوضع لما أتت به قومها تحمله ﴿قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾[2] ولولا تمام إيمانها وكمال يقينها لأهلكت نفسها وولدها, ولكنها صدقت بكلمات ربها، فنالت الدرجة العليا, وكانت من القانتين؛ ولذلك أعلن القرآن براءتها، قال -تعالى-: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾[3] وأثبت ذلك

(١) سورة مريم, الآية ٢٣ . ومن لطف الله بأوليائه ودفاعه عنهم أن جعل دليل الاتهام هو دليل البراءة, فإذا المولود التي تتهم به يدافع عنها كما قال -تعالى-: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ سورة مريم, الآيتان ٢٩, ٣٠.

(٢) سورة مريم, الآية ٢٧.

(٣) سورة الأنبياء, الآية ٩١.

بكلامه في المهد، وهو طفل رضيع[(١)]، وأخبر سيدنا عيسى عمن يرفع عنه وصمة العار هو أمه[(٢)]، فقال في إنجيل يوحنا إصحاح ١٦ عدد١٢ : (إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع

(١) وذلك من خلال ما أخبر الله عنه في كتابه في قوله -تعالى -: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًۭٔا فَرِيًّۭا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍۢ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّۭا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّۭا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّۭا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّۭا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًۭا شَقِيًّۭا ﴿٣٢﴾﴾ سورة مريم، الآيات ٢٧ - ٣٢.

(٢) افترى اليهود في حق مريم -عليها السلام - تلك الفرية العظيمة حينما رموها بالزنى، ومع غلو النصارى فيها-إذ اعتقدت بعض طوائفهم أنها إله، كما أخبر الله عنهم حيث يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ﴾ سورة المائدة، الآية ١١٦، واعتقد فيها آخرون أنها والدة الإله- مع ذلك تخبطت في شأنها نصوصهم، فتارة يجعلونها مخطوبة ليوسف النجار، وأنها عاشت مع يوسف النجار حتى بعد ميلاد المسيح،وتارة ينسب ابنها المسيح ابن مريم إلى يوسف النجار، ويلحق بنسب داود -عليه السلام - عن طريق يوسف النجار، وتارة تثبت نصوصهم الحق الذي لامرية فيه، وهو أنها لم تكن مخطوبة لرجل، ولم تعرف رجلاً، كما ورد في إنجيل لوقا حينما بشرها الملك بعيسى -عليه السلام - فقالت :(كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً)١ : ٣٤،وهذا يتفق مع ما ورد في القرآن من أنها اعتزلت قومها، واتخذت حجاباً، كما قال -تعالى -: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًۭا شَرْقِيًّۭا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًۭا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًۭا سَوِيًّۭا ﴿١٧﴾﴾ سورة مريم، الآيتان ١٦، ١٧.

فانظر كيف افترى عليها اليهود، وكيف تخبط في شأنها من يدعي تقديسها، ولم ينصفها إلا الوحي الإلهي المعصوم، فالحمد لله على ما أولانا من نعمه وجزيل مننه.

يتكلم به,ويخبركم بأمور آتية, ذاك يمجدني ؛ لأنه يأخذ مما لي ويخبركم). أخبر أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- لا يتكلم من نفسه ؛ حتى يؤمنوا به ، ولا يشكوا في كلامه, كما قال -تعالى -: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1]، ولما عَلِمَه من ربه من ضلال قومه وانحرافهم عن الحق والصواب قال: (يأخذ مما لي ويخبركم) أي أنه هو يخبركم بحقيقة أمري وأصل نشأتي التي لا تعيها عقولكم الآن؛ لقصور أفهامهم عن إدراكها، فقال: (ولكنكم لا تستطيعون أن تحتملوا الآن) وحقق ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم -ومجّدَه -فرفع عنه وعن أمه وصمة العار -الزنا -وذكرهم بما هو أعظم, وهو خلق آدم من تراب, وبين لهم المماثلة والمشابهة بينهما, ورفع عنه وعن أمه الظلم البيّن والجور المريع.

البراءة الثانية:

جاء في إنجيل يوحنا إصحاح ١٧ عدد٣: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك) أي أن الحياة الدائمة هي أن يعرفوا أنك وحدك المستحق للعبادة الخالصة, ولا معبود بحق سواك, (وأن يسوع المسيح الذي أرسلته), أي وأن يشهدوا بأن عيسى المسيح عبد الله ورسوله إليهم. وقال بذلك مراراً إنه إنسان مثلهم, ونبي مرسل إليهم[2] يكلمهم بما أوحى الله به إليه

---

(١) سورة النجم, الآيتان ٣, ٤.

(٢) قال السيد المسيح لما ذهب لوطنه في إنجيل متى إصحاح ١٣ عدد٥٧ وفي إنجيل مرقس إصحاح ٦ عدد٤ : (ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته) ن.

في إنجيل يوحنا إصحاح ٨ عدد٤٠ : (ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني, وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله)[١] .

وهذا ما أثبته الأنبياء والمرسلون في كتبهم[٢], قال سفر اللاويين إصحاح ٢٦ عدد١ : (لا تصنعوا لكم أوثاناً, ولا تقيموا لكم تمثالاً منحوتاً أو نصباً, ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له ؛ لأني أنا الرب إلهكم). وقال سفر

---

(١) كان السيد المسيح من عادته الشريفة أن يعبر عن نفسه –بابن الإنسان– حتى لا يشكل عليهم أمر خلقه، فيعتبرونه إلهاً أو ابن الله ؛ لأن ابن الإنسان لا يكون إلا إنساناً وعبداً لمن خلقه, وقد قالت بذلك جميع الأناجيل: متى إصحاح ٨ عدد٢٠, وإصحاح٩ عدد٦, وإصحاح١٧ عدد١٢,وإصحاح١٩عدد٢٨. مرقس, إصحاح٢ عدد١٠, وإصحاح٨ عدد٣١ ,وإصحاح١٠ عدد٣٣. لوقا إصحاح٥ عدد٢٤, وإصحاح ٩ عدد٢٢ ,٢٦, ٤٤,وإصحاح ١٧ عدد٢٢, وإصحاح٢١ عدد٢٧. يوحنا إصحاح ٣ عدد ١٣ ، وإصحاح٦ عدد٥٣, وإصحاح٨ عدد ٢٨, وإصحاح١٢عدد٣٤,وإصحاح١٣,عدد٣١.ن.

تكرر ورود عبارة (ابن الإنسان) في العهد القديم والجديد, ويعتقد النصارى أن المراد بها المسيح,فإذا وردت في العهد القديم، فهي بشارة بالمسيح –عليه السلام –, وإذا وردت في العهد الجديد فهي حديث من المسيح –عليه السلام – عن نفسه ؛ ولذلك قال هذا المهتدي في أول هذا التعليق: (كان المسيح من عادته الشريفة أن يعبر عن نفسه, بـ(ابن الإنسان).وتبعه على هذا كل من المهتدي إبراهيم خليل أحمد في كتابه: محمد –صلى الله عليه وسلم – في التوراة والإنجيل والقرآن,ص١٠٨ –١٠٩, والمهتدي محمد مجدي مرجان في كتابه القيم: المسيح إنسان أم إله؟ ص٢٠٤, والمهتدي محمد فؤاد الهاشمي في كتابه: سر إسلامي, ص٦٠,واستدلوا بهذا اللفظ على بشرية المسيح –عليه السلام –, لكن خالف هؤلاء المهتدي عبد الأحد داود، وأثبت أن عبارة (ابن الإنسان) إذا وردت في العهد القديم، فهي بشارة من أنبياء بني إسرائيل بنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم – وهي أيضاً بشارة من المسيح –عليه السلام – بنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم – إذا وردت في العهد الجديد, انظر كتاب:محمد في كتاب المقدس, تأليف المهتدي عبد الأحد داود ص٩٥ – ١٠٥ ,٢٠٣ — ٢٦٤، ففيه مبحث نفيس لطيف حول ذلك.

(٢) ومصداق ذلك من القرآن الكريم قوله –تعالى – : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ سورة الأنبياء, الآية٢٥.

التثنية إصحاح ٥ عدد٦ : (أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية, لا يكن لك آلهة أخرى أمامي, لا تصنع لك تمثالاً منحوتا صورة ما مما في السماء من فوق, وما في الأرض من أسفل, وما في الماء من تحت الأرض, لا تسجد لهن ، ولا تعبدهن ؛ لأني أنا الرب إلهك إله غيور). وقال سيدنا أشعياء في إصحاح ٤٤ عدد ٦ : (أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري) وقال السيد المسيح في إنجيل مرقس إصحاح ١٢ عدد٢٩ : (أجاب يسوع إن أول الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل ! الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك, ومن كل نفسك, ومن كل فكرك, ومن كل قدرتك, هذه هي الوصية الأولى... فقال له الكاتب : جيداً يا معلم ! بالحق قلت, لأن الله واحد وليس آخر سواه).

بعد كل هذا نراهم يؤلهون عيسى وأمه, وقد كذبهم القرآن في هذا بقوله :﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [1] وهذا هو ما يشير إليه قول سيدنا عيسى في الإنجيل : (يذكركم بكل ما قلته لكم)[2] من إفراد الله -تعالى - بالعبادة الخالصة, والوحدانية الصرفة.

وقال بعض حوارييه فيما يروونه عنه وعن أعماله في إنجيل لوقا إصحاح٢٤ عدد١٩ : (فقالا المختصة بيسوع الناصرى الذي كان إنسانا نبيا مقتدرا في الفعل

(١) سورة المائدة, الآيتان ١١٦, ١١٧.
(٢) يوحنا ١٤ : ٢٦ .

والقول أمام الله وجميع الشعب). ومعنى قوله: (مقتدراً في الفعل والقول) أي: أنه أيده الله بروح القدس, وهو سيدنا جبريل في فعل المعجزات, وإبلاغ وحي الله وكلامه لجميع الشعب. غير عابئ بتهكمه وتهديده.[١] وقال بمعنى هذا الحواري بطرس[٢] بسفر الأعمال إصحاح٢ عدد٢٢: (يسوع الناصرى رجل قد برهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده)، وقال إصحاح ١٧ عدد١١, ١٢ من إنجيل يوحنا بمعنى قوله -تعالى-: ﴿وَكُنتُ

(١) أي غير عابئ بتهكم الشعب وتهديده.

(٢) يعتقد عامة النصارى أن بطرس هو رئيس الحواريين وقد يصفه بعض المهتدين وبعض المهتمين بهذا الفن من علماء الإسلام بأنه (بطرس الحواري) أو (رئيس الحواريين) إما باعتبار الشائع عن هذا الرجل, أو لإلزام النصارى بما ينقل عنه من عبارات يستشهد بها من يجادلهم.

وفيما يلي مجموعة من النصوص المتعلقة ببطرس تجعل الباحث يتساءل عن حقيقة بطرس، وهذه النصوص هي:

١- أن هذا المدعو(بطرس)يعتقد أن المسيح هو ابن الله -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- فقد جاء في إنجيل متى قوله: (فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي)١٦: ١٦.
والحواريون آمنوا بالله، وشهدوا أن المسيح عبد الله ورسوله, ونصروه, قال -تعالى-: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ سورة الصف,الآية١٤.

٢- نقل إنجيل متى وصف المسيح لبطرس هذا بأنه شيطان حيث جاء فيه: (فالتفت، وقال لبطرس: اذهب عني -يا شيطان- أنت معثرة لي؛ لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس) ١٦: ٢٣.

٣- كيف يكون بطرس هذا رئيساً للحواريين، وهو الذي أنكر معرفته للمسيح -عليه السلام- حين أراد الجنود الرومان أخذه وصلبه -كما زعموا- وقد نقل الإنجيلي متى إخبار المسيح له بإنكاره ووقوع هذا الإنكار منه، فقال: (الحق أقول لك، إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات)٢٦: ٣٤. وقال: (أما بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار، فجاءت إليه جارية قائلة: وأنت كنت مع يسوع الجليلي. فأنكر قدام الجميع قائلاً: لست أدري ما تقولين...) ثم لجّ في إنكاره؛ حتى اكتملت الثلاث, فحينئذ سمع صياح الديك (فتذكر كلام يسوع الذي قال: إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات) ٢٦: ٦٩ -٧٥.

وأمام هذه النصوص نتساءل هل هذا هو بطرس الحواري أم غيره؟ فنقول: إما إن يكون بطرس حوارياً؛ وعلى هذا فلا تصح نسبة هذه الأقوال والأعمال إليه. وإما أن يكون هذا المدعو بطرس دعياً مفترياً فلا تصح نسبته إلى الحواريين. فإن صحت النصوص بطل انتساب بطرس إلى الحواريين، وإن كذبت النصوص صحت نسبته إلى الحواريين، وعلى كلا الاحتمالين فهذه النصوص دالة على التحريف.

عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾[١] عدد١٢ : (حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك الذي أعطيتني، ولم يهلك منهم أحد)عدد١١ : (ولست أنا بعد في العالم، وأما هؤلاء فهم في العالم, وأنا آتى إليك أيها الأب المقدس, احفظهم في اسمك الذي أعطيتني)، وفي عدد١٥ : (لست أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير)؛ لأنه علم من الله ما يكون بعده من فتنة وضلال، كما قال عيسى للحواري الأكبر بطرس[٢] في إنجيل لوقا إصحاح ٢٢ عدد٣١ (هو ذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك, وأنت متى رجعت ثبت إخوتك) ونرى أن كل إصحاح ١٧ دعاء وابتهال إلى الله أن يحفظ الحواريين، ويثبتهم في الدين الحق.

وليعلم أن ما نسبه إليه، وألصقه به نصارى اليوم لم يجرأ عليه إبليس اللعين، بل تبرأ منه، فقال: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[٣]

---

(١) سورة المائدة, الآية١١٧.

(٢) انظر هامش (٢) في ص٨٢ من هذا الكتاب.

(٣) سورة الحشر, الآية١٦. وقول المؤلف عن عمل النصارى (لم يجرأ عليه إبليس)... أو ما شاكل ذلك مما نقرأ أو نسمع من قول الناس: هذا العمل لا يبلغه إبليس, أو يقصر عنه إبليس من عبارات المبالغة, هذا الكلام وأمثاله لا يصح, وإن كان من باب المبالغة؛ لأن كل ضلال وغواية وشرك وشر في هذا الكون فهو من كيد الشيطان ومكره بالبشر, بعد إذن الله فيه وتقديره له, وقد أخذ الشيطان على نفسه ألا يترك سبيل غواية أو ضلال يستطيع من خلاله أن يضل البشر إلا سلكه,قال ـ تعالى ـ مخبراً عن الشيطان: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة الأعراف,الآيتان١٦, ١٧, وقال: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الحجر, الآيتان ٣٩، ٤٠,أما من يحتج بقوله: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ فلا= =حجة لهم فيه, ولذا قال القرطبي: (وليس قول الشيطان ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ على حقيقته, إنما هو على وجه التبرؤ من الإنسان, فهو تأكيد لقوله: ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ ﴾) الجامع لأحكام القرآن ,ج١٨

البراءة الثالثة :

أن الله برأه من عقوقه لوالدته المصرح به في عدة مواضع من الإنجيل,ففي إنجيل متى إصحاح ١٢ من عدد٤٧ إلى عدد٥٠ تقرير بأن عيسى لم يجب طلب أمه ، ولم يقابلها ، ولم يكلمها[(١)] ، وقال بمعنى هذا -أيضاً- إنجيل يوحنا إصحاح٢ عدد٤ رد أمه بقوله : (قال لها يسوع : ما لي ولك -يا امرأة-؟ لم تأت ساعتي بعد).ولكن القرآن يقرر براءته من هذا كله, فيقول : ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾[(٢)]

البراءة الرابعة :

برأه الله -تعالى- من الصلب والجلد, وحماه من اللطم والبصق والإهانة, ونجاه عندما صمموا على قتله, والله منجز وعده لرسله, قال -تعالى- : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾[(٣)] ، فوفاه حقه كإخوانه الرسل, فقال:﴿ إِذْ [illegible]

,ص٤٢,وانظر تفسير القرآن العظيم ج٤,ص٣٤٠, وهذا القول من الشيطان للإنسان عندما يقع فيما سول له من باب الكيد له حتى يزيده غماً إلى غم, وهما إلى هم, وندماً إلى ندم, والأولى والأسلم أن نستخدم عبارات تتفق مع ما تلقيناه عن ربنا,وأن نتأدب بأدب القرآن, فنصف العمل الموغل في الضلال والمسرف في الإلحاد بأنه من كيد الشيطان ومكره,أو أن هذا لا يستغرب من أولياء الشيطان وحزبه.

(١) قال متى : (وفيما هو يكلم الجموع إذ أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه ، فقال له واحد : هو ذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك, فأجاب وقال للقائل له : من هي أمي ومن هم إخوتي, ثم مد يده نحو تلاميذه ، وقال : ها أمي وإخوتي ؛ لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي)١٢ : ٤٦ - ٥٠.

(٢) سورة مريم,الآية٣٢ .

(٣) سورة المجادلة, الآية٢١.

مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾[١]، ورفعه مكانا عليا، كما رفع أخاه في النبوة والرسالة ـ إدريس ـ، قال ـ تعالى ـ :﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ ﴾[٢] وأخبرت التوراة بهذا في سفر التكوين إصحاح ٥ عدد ٢٤ عن سيدنا إدريس المسمى بالعبرية أخنوخ: (وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد؛ لأن الله أخذه)، وسيوضح بالمنارة العاشرة، إن شاء الله.

---

(١) سورة آل عمران، الآية٥٥، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨ ﴾ سورة النساء، الآيتان١٥٧، ١٥٨.

(٢) سورة مريم، الآيتان٥٦، ٥٧.

المنارة السادسة

السفراء المرسلون أمام سيد الأنبياء والمرسلين

قد تبين فيما تقدم أصل نشأة سيدنا عيسى، وقد جعل الله ولادته من غير أب لثلاثة أسباب[(١)]: -

أولاً: ليكون ذلك دليلاً على البعث.

ثانياً: ليكون دليلاً على ذهاب النبوة من بني إسرائيل، وعلى نسخ شرعهم.[(٢)]

ثالثاً: ليكون إيذاناً بقرب شروق شمس سيد العالم وخاتم الأنبياء والمرسلين, من أعمام بني إسرائيل, أولاد سيدنا إسماعيل, بكر سيدنا إبراهيم -عليهما الصلاة والسلام -.

---

(١) انظر هامش (١) في صفحة (٥٤) من هذا الكتاب, والتعليل الذي ورد به الذكر الحكيم لهذا الأمر أشمل مما ذكر هنا, حيث جعل الله ميلاده آية للناس ورحمة, قال -تعالى -:﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ سورة مريم, الآية ٥١, وقال أبو الفداء إسماعيل بن كثير في تفسيره لهذه الآية﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: أي دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوع في خلقهم: فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى, وخلق حواء من ذكر بلا أنثى, وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى، فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر, فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه, فلا إله غيره، ولا رب سواه, وقوله: ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾أي ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده)أ هـ جـ٣, ص ١١٥.

(٢) يود الباحث لو أن المؤلف —رحمه الله - أيد هذا التعليل بالدليل الذي دفعه إلى القول به؛ إذ المتوقع أن لدى المؤلف أدلة دفعته إلى هذا التعليل.

قال إنجيل لوقا إصحاح ١ عدد٧٢: (ليصنع رحمة مع آبائنا [١]، ويذكر عهده المقدس القسم الذي حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا أننا بلا خوف منقذون من أيدي أعدائنا نعبده بقداسة وبر جميع أيام حياتنا) [٢] ذلك يشير تماماً إلى أن شرع محمد جامع للخير والفلاح، وأنه الباقي إلى نهاية الزمن, ويشير إلى أن الله رحم جميع أمم الأرض، وباركها برسالة سيدنا محمد, قال -تعالى -: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[٣]﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[٤].

أما سيدنا إسحاق وأولاده الأنبياء من بعده فلم يرسلوا إلا لبني إسرائيل خاصة. ويشير بقوله: (نعبده بقداسة وبر جميع أيام حياتنا) إلى أن شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم - باقية مدى الحياة, بخلاف شرائع بني

---

(١) قوله (ليصنع رحمة مع آبائنا) الأب هنا بمعنى العم؛ لأن بني إسرائيل والعرب أيضاً يدعون العم أبا, ورَحِمَ أعمامهم -أولاد سيدنا إسماعيل - برسالة سيد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - وقوله: (أن يعطينا أننا بلا خوف منقذون من أيدي أعدائنا) يشير إلى أن أمته -صلى الله عليه وسلم - أنقذت الكابيين من نير الفرس وظلم الرومان , وجعلتهم أحراراً في إقامة شعائرهم, وقوله: (القسم الذي حلف لإبراهيم أبينا) يفسره ما في سفر التكوين إصحاح ١٨ عدد١٨ (وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية، ويتبارك به جميع الأمم)، ولم تتبارك أمم الأرض إلا برسالة محمد, لأنه الرسول العام لكل الناس. ن. وفي طبعة ١٩٩١م جاء نص سفر التكوين هكذا (إبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض).

(٢) في طبعة ١٩٩١م (ليصنع رحمة مع آبائنا، ويذكر عهده المقدس, القسم الذي حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا إننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا نعبده بقداسة وبر جميع أيام حياتنا) لوقا : ١ : ٧٢ - ٧٥.

(٣) سورة الأنبياء, الآية ١٠٧.

(٤) سورة سبأ,الآية ٢٨ .

إسرائيل؛ فإنها كانت مؤقتة تنتهي بانتهاء حياة من أنزلت عليه, أو بعد مماته بقليل[١]، وهم جميعاً مرسلون كسفراء[٢] أمام سيد الخلق محمد -صلى الله

---

(١) قال -صلى الله عليه وسلم -: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر, وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً, فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل, وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي, وأعطيت الشفاعة, وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة, وبعثت إلى الناس عامة) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التيمم, باب ١, جـ١, ص٨٦, ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة, حديث ٥٢١ .

(٢) هذا اللفظ فيه مبالغة, وقد نهى النبي -صلى الله عليه وسلم - عن المبالغة في حقه, ومن المعلوم من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم -: أن الله ابتعث جميع الأنبياء والمرسلين سفراء من الله إلى خلقه, وليسوا سفراء بين يدي محمد -صلى الله عليه وسلم - وإنما الغاية التي بعثوا من أجلها تحقيق العبودية له -سبحانه -, وإبلاغ رسالاته, قال -تعالى -: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة الأنبياء,الآية ٢٥. وقال -تعالى -: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ سورة النحل, الآية ٢,فهم مكلفون بالبشارة بموعود الله, والنذارة من عذابه, وبالدعوة إلى سبيله,وأخذ عليهم -سبحانه - الميثاق أن يصدق بعضهم بعضاً، وأن ينصر بعضهم بعضاً, قال -تعالى -: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ سورة آل عمران, الآية٨١, قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: (فالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام - قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض, ويصدق بعضهم بعضاً؛ لأن جميع ما عندهم هو من عند الله, وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان, فهم كالشيء الواحد, فعلى هذا قد عُلِمَ أن محمداً -صلى الله عليه وسلم - هو خاتمهم, فكل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام - لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته, وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم, فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلال قدره, وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم، صلى الله عليه وسلم) تيسير الكريم الرحمن ص١٣٦, وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١, ص٣٧٧, ٣٧٨, والتفسير الكبير ج٤,ص١٠٠ - ١٠٥, وقد دعا إبراهيم الخليل

عليه وسلم ـ,وها هي ذي رسالة سيدنا موسى لفرعون, فقد كانت لتخليص بني إسرائيل من أسره، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾[1] وقال سفر الخروج في التوراة إصحاح٣ عدد١٠ :(فالآن هلما, فأرسلك إلى فرعون, وتخرج شعب بني إسرائيل من مصر)[2], وكذلك سيدنا عيسى كان رسولاً خاصاً لبني إسرائيل، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[3] وقال إنجيل متى إصحاح١٥ عدد٢٤: (وأجاب, وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة), ولذلك أمر الحواريين ألا يذهبوا إلى الأمم, ولا إلى جيرانهم السامريين، ففي إنجيل متى إصحاح ١٠ عدد ٥ قال: (وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا, بل اذهبوا

ربه أن = = يبعث في ذريته نبياً, قال -كما أخبر الله عنه - :﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾سورة البقرة ,الآية١٢٩,فكان هذا النبي محمداً -صلى الله عليه وسلم -. وبشر المسيح -عليه السلام - قومه بقدوم محمد -صلى الله عليه وسلم - فقال كما أخبر الله عنه: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ سورة الصف, الآية ٦.

(١) سورة الشعراء ,الآيتان ١٦, ١٧.

(٢) في طبعة ١٩٩١م (فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون,وتخرج شعب بني إسرائيل من مصر).

(٣) سورة الصف, الآية ٦.

بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[١], وزيادة في الإعلان والإرشاد لذلك التحول الخطير أرسل أمام سيدنا محمد ثلاثة أنبياء[٢] في وقت واحد وفي مكان واحد, جعلهم الله سفراء أمام رئيس العالم؛ ليعلموا بقرب شروق شمس سيدنا محمد خاتم المرسلين, وابن الذبيحين, المرسل بالشرع الدائم، والدعوة للإنس والجن.

حكمة خلق سيدنا عيسى من غير أب

قدمنا أن خلق عيسى من غير أب لا بد له من حكمة, بل من حكم, منها ما أسلفنا من أن ذلك يدل على البعث, وعلى ذهاب النبوة من بني إسرائيل وانتقالها إلى بني إسماعيل, وزيادة في الإيضاح نقول: إن الله أرسل في بني إسرائيل أنبياء كثيرين, ولكن القوم حرفوا، وبدلوا، وقتلوا الأنبياء بغير

---

(١) لم يشأ منظرو الدين النصراني أن تظل رسالة المسيح خاصة ببني إسرائيل؛ بل رغبوا أن تكون شاملة للعالمين؛ لذلك أدخلوا نصوصاً في أناجيلهم تؤكد شمولية هذه الرسالة للعالمين، كما قال مرقس: (اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها)١٦ : ١٥, وانظر متى٢٨ : ١٩,ولوقا ٢٤ : ٤٧, ولكن هذه النصوص كانت متناقضة مع النصوص التي اشتملت عليها المدونات الأولى لأناجيلهم مما استشهد به المؤلف, كما أنها لم تسلم من الانتقاد من قبل الباحثين سواء كانوا نصارى أم مسلمين, فقد أثبت المحققون أن النصوص التي تدعو إلى شمولية رسالة المسيح للعالم أجمع إنما وردت أول مرة في خاتمة إنجيل مرقس, وخاتمته غير أصلية بل مزيفة, ثم انتقلت هذه المضامين من إنجيل مرقس إلى كل من متى ولوقا. انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر, تأليف أحمد عبد الوهاب ص١٤ - ٢٣.

(٢) هم سيدنا زكريا, وسيدنا يحيى,وسيدنا عيسى, عليهم الصلاة والسلام .ن.

حق,واتبعوا أديان مستعمريهم الدهريين الذين ينكرون البعث[١]، كما قال بذلك سفر الأعمال إصحاح ١٧ عدد٣٢ عن معتقد الرومان الذين ملكوا الشعب الإسرائيلي في زمن سيدنا -عيسى عليه السلام -: (ولما سمع بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون، والبعض يقولون: سنسمع منك عن هذا أيضاً). وأثبتت الأناجيل أن الإسرائيليين اعتنقوا هذا المذهب, ففي إنجيل متى إصحاح ٢٢ عدد٢٣, وفي إنجيل مرقس إصحاح ١٢ عدد١٨, وفي إنجيل لوقا إصحاح ٢٠ عدد٢٧ ما يأتي: (وجاء إليه الصدوقيون الذين يقولون: ليس قيامة)[٢], وقرر سفر الأعمال -أيضاً - أن كهنة بني إسرائيل بل وحبرهم الأكبر كانوا على هذا الاعتقاد, ففي إصحاح ٥ عدد١٧: (فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم شيعة الصدوقيين).

لهذا خلق الله عيسى -عليه السلام - في هذا الزمن من غير أب؛ ليكون دليلاً محسوساً لهم على البعث, مسايراً بذلك قواهم العقلية وما تعودوه من الخوارق التي بدونها لا يؤمنون ... قال -تعالى - : ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾[٣] فخلقه من مريم كان آية تدل على قدرة الله على البعث، وإعادة الناس بعد العدم, كما قال -تعالى -: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧﴾ إلى أن

---

(١) استقصى محمد طاهر التنير -رحمه الله - مظاهر تأثر النصارى بالعقائد الوثنية في كتابه: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية.

(٢) وفي طبعة ١٩٩١م (وحضر قوم من الصدوقيين الذين يقاومون أمر القيامة) لوقا ٢٠ : ٢٧.

(٣) سورة الأنبياء,الآية٩١.

قال: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ -بالنبوة والرسالة - ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [1] ووضح المثل[2] فقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [3]

(١) أخبرت التوراة بنشأة سيدنا عيسى المغايرة للناس, فقال سفر أرميا إصحاح ٣١ عدد٢١: (ارجعي ياعذراء إسرائيل، ارجعي إلى مدنك هذه حتى متى تطوفين أيتها البنت المرتدة؟ (أي الحائرة) لأن الرب خلق شيئاً حديثاً في الأرض أنثى تحيط برجل)[وفي طبعة ١٩٩١م ورد النص هكذا: لأن الرب قد خلق شيئاً] يشير بذلك إلى خوف السيدة مريم من الذل والعار حتى هامت على وجهها، وفرت من بلادها، فبرأها الله بقوله: (ياعذراء)وهذا أمر غريب -طبعاً - عليها وعلى الناس أن تحمل فتاة بدون رجل. وكان هذا الخبر معلوما لهم لقول إنجيل يوحنا إصحاح٧ عدد٢٦: (لعل الرؤساء عرفوا يقينا أن هذا هو المسيح حقاً. ولكن هذا نعلم من أين هو، وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو؟) أي أنه يأتي مغايراً للمعروف والمألوف للناس . ن.

(٢) قال ابن جرير -رحمه الله - في تفسيره: (وقوله: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾يقول تعالى ذكره: ولما شبه الله عيسى في إحداثه وإنشائه إياه من غير فحل بآدم, فمثّله به بأن خلقه من تراب من غير فحل؛ إذا قومك -يا محمد - يضجون، ويقولون: ما يريد محمد منا إلا أن نتخذه إلهاً نعبده كما عبدت النصارى المسيح)إلى أن يقول موضحا قوله -تعالى -: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾: يقول -تعالى - ذكره: فما عيسى إلا عبد من عبادنا, أنعمنا عليه بالتوفيق والإيمان, وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل. يقول: وجعلناه آية لبني إسرائيل, وحجة لنا عليهم بإرسالنا إليهم بالدعاء إلينا, وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله. تعالى الله عن ذلك) جامع البيان, ج٢١, ص٦٢٤ - ٦٢٩.

(٣) سورة الزخرف,الآيات٥٧ - ٦١.

المنارة السابعة

مقارنة بين خلق سيدنا يحيى وسيدنا عيسى

أقام الله لنا -زيادة على ما قدمنا - دليلاً على قدرته التي لا يعجزها خلق سيدنا عيسى-بدون أب-, وهذا الدليل لا يقل خطراً عن غيره, وزيادة في الإرشاد والتنبيه جعله في بلدة واحدة, وزمن واحد, وبيت واحد,قال -تعالى -: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[(١)]، وإنه لمن العجيب حقاً أن تلد امرأة سيدنا زكريا, وهي عجوز بلغت سن اليأس[(٢)]، بل تجاوزته بعشرات السنين, وزوجها قد بلغ من الكبر عتيا, لكن ذلك ليس بمستحيل على قدرة الله القوي الفعال لما يريد, قال إنجيل لوقا إصحاح ١ عدد٧: (ولم يكن لهما ولد إذ كانت اليصابات عاقراً وكان كلاهما متقدمين في أيامهما)

ومعلوم أن الرجل إذا تقدمت به السن حرم من القوة التي ينال بها ذلك الأمر؛ لارتخاء أعصابه, وتفكك مفاصله, ويبس المادة الغريزية, ولذلك عجب سيدنا زكريا من بشارة الملائكة له بيحيى -صلى الله عليهما وسلم - ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾[(٣)] وعند

---

(١) سورة آل عمران, الآية٣٧.

(٢) قرر العلماء أن سن اليأس من ٥٠ إلى ٦٠ سنة, وقليل جداً من يحملن في سن ٦٠, ذلك لتفاوت قوات أجسام النساء, وكان سن اليصابات تسعين سنة. ن.

(٣) سورة مريم ,الآية ٨.

ذلك رد سيدنا جبريل على تعجبه هذا بقول الله -سبحانه وتعالى -: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾[١] وقال بمعنى هذا إنجيل لوقا إصحاح ١ عدد١٨ (فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا؛ لأني أنا شيخ، وامرأتي متقدمة في أيامها)

ولم تجر سنن الكون ونواميس الطبيعة على أن يقع مثل هذا الحمل - حمل أم يحيى- لثلاثة أسباب:

أولاً: لأن المرأة العاقر يكون مبيضها ميتاً, وكذلك يكون رحمها عديم النفع والحياة.

ثانياً: ما قدمنا من أن الرجل إذا بلغ سن الشيخوخة حرم القوة التي ينال بها ذلك الأمر لارتخاء أعصابه، وتفكك مفاصله، ويبس المادة الغريزية فيه.

ثالثاً: أن المرأة إذا بلغت سن اليأس انقطع حيضها، وضمر مبيضها، وتعطلت فيها آلات تربية الجنين وأجهزة تغذيته. ولو لا عناية الله لا ستحال أن يولد لسيدنا زكريا، وهو وزوجته على الحال التي أسلفنا؛ ولذلك يقول الله -تعالى -: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾[٢]

وجملة القول أن كلا من السيدة مريم والسيدة اليصابات كان حملهما على خلاف العادة والمألوف, ومع ذلك لم يؤله أحد من الناس سيدنا يحيى -عليه السلام -, كما لم يقل أحد بأنه ابن إله, مع أنه وجد في ظروف وملابسات يعجز عن تعليلها العقل والعلم الحديث.

ولذلك يقرر إنجيل لوقا إصحاح ١ عدد٣٧ أن السيدة مريم ذاتها عجبت حين بشرها الملك بحمل خالتها أم سيدنا يحيى, فرد عليها سيدنا جبريل وقال:

---

(١) سورة مريم ,الآية ٩.

(٢) سورة الأنبياء ,الآية ٩٠.

(ليس شيء غير ممكن لدى الله)، فكيف يليق بعاقل أن يؤله سيدنا عيسى -عليه الصلاة والسلام - أو يدعي أنه ابن إله؟.

المنارة الثامنة

الشواهد الظاهرة لزوال النبوة من بني إسرائيل

عرفنا أن فرع الرسالة في بني إسرائيل كان في بيت آل عمران, ومنه سيدنا موسى وهارون وذريتهما -عليهم السلام -, وانتهت إلى أسرة سيدنا داود وابنه سيدنا سليمان -عليهما السلام -, وتسلسلت من بعدهما إلى سيدنا زكريا وعمران أي ((يواقيم))والد السيدة مريم[(١)]، وكانا متقدمين في السن, ولم يرزقا نسلا, وكان كلاهما يبتهلان إلى الله طالبين النسل لوراثة النبوة, وخدمة المسجد الأقصى, وهو المسجد السليماني. ولما أحست أم السيدة مريم بالحمل اشتد فرحها, حتى تعجلت، ونذرت ما في بطنها لله ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [(٢)]،

---

(١) مريم بالعبري معناها بالعربية خادمة بيت الله. ن.

(٢) الآية ٣٠ من سورة آل عمران. لأن خدمة المسجد الأقصى خص بها سيدنا هارون وذريته من بعده, قال سفر الخروج للتوراة إصحاح ٤٠ عدد١٣ :(وتلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لي, وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة وتمسحهم كما مسحت أباهم ليكهنوا لي) وفي أخبار الأيام الثاني إصحاح٢٦ عدد١٧(وقاوموا عزيا الملك، وقالوا: ليس لك -يا عزيا - أن توقد للرب, بل للكهنة بني هارون المقدسين للإيقاد, اخرج من المقدس ؛ لأنك خنت, وليس لك [في طبعة١٩٩١م بإضافة ((من)) هنا].كرامة من عند الرب) ولما كانت اليصابات وحنة أم السيدة مريم من نسل سيدنا هارون، كما أثبت ذلك إنجيل لوقا إصحاح١ عدد٥ إذ قال: (وامرأته من بنات هارون واسمها اليصابات)لما كان كذلك نذرتها أمها لخدمة بيت الله الخاصة بنسل سيدنا هارون؛ ولذلك كانوا ينادونها (يا أخت هارون) تشريفاً لها؛ لأنها من نسل هارون الذي تولى هو وذريته خدمة المسجد. ن.

وبالمثل كان سيدنا زكريا كثير الطلب والتضرع إلى الله أن يرزقه بنسل حتى لا تنقرض النبوة والرسالة من بني إسرائيل, وذلك واضح في قوله - تعالى -: ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾[١] فأجاب الله طلبه بعد اليأس والقنوط[٢],تفضلا منه ورحمة, وأعلمه بنهاية النبوة منهم وزوالها من نسلهم بأن ما سيهبه له (حصورا) أي ممنوعا من النساء لا يرجى منه نسل[٣] قال -تعالى -:﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ ﴾[٤] وكان ذلك دليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً على انقراض الأنبياء من نسل يعقوب (بني إسرائيل). وقرر إنجيل مرقس إصحاح٦ عدد٢٥,وإنجيل متى إصحاح ١٤ عدد١٨ أن سيدنا يحيى لم يتزوج, وقطعت رأسه في السجن قبل أن يتزوج وينسل, وقال في عدد١٠ :(فأرسل، وقطع رأس

---

(١) سورة مريم, الآيتان ٥, ٦.

(٢) اليأس والقنوط لا يليق بالأنبياء,قال -تعالى -: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝ ﴾ سورة الحجر,الآية٥٦, وقال -تعالى -:﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ ﴾سورة يوسف, الآية٨٧.

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله -:(أي ممنوعاً من إتيان النساء، فليس في قلبه لهن شهوة؛ اشتغالاً بخدمة ربه وطاعته) تيسير الكريم الرحمن ص١٣٠. وقال أبو جعفر الطبري: (ممتنعاً من جماع النساء) ج٦, ص٢٧٦. وقال الرازي:(في تفسير الحصور قولان: أحدهما: أنه كان عاجزاً عن إتيان النساء.... والقول الثاني: أنه الذي لا يأتي النساء؛ لا للعجز، بل للعفة والزهد؛ وذلك لأن الحصور هو الذي يكثر حصر النفس ومنعها) التفسير الكبير ج٨, ص ٣٢ - ٣٣.

(٤) سورة آل عمران, الآية٣٩.

يوحنا في السجن)، وسيدنا عيسى لم يتزوج، ولم ينسل، ورفع حيا إلى السماء.

فترة انتقال

وقد جعل الله ولادة سيدنا عيسى من امرأة فقط دليلاً محسوساً على إحياء النبوات والرسالات في ذرية سيدنا إسماعيل التي ذبلت، وجفت لعدم إرسال أنبياء فيهم, ولهذا غمرهم الجهل والكفر, وبعد عهدهم بالمنابع الأولى للعقيدة الصحيحة, فبعثها الله مرة ثانية, فأفرخت، وأزهرت بنور العلم, وأثمرت ثمراً طيبا بمعرفة الله حين أرسل إليهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين[1] وقد وضح سيدنا حزقيال بالتوراة إصحاح ١٧ عدد٣٢ نهاية النبوة من بني إسرائيل، فقال: (إني أنا الرب, وضعت الشجرة الرفيعة, ورفعت الشجرة

---

(١) وقد أوضح الله ذلك في كتابه الكريم، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ سورة الجمعة, الآية٢. وقال -جل ثناؤه -: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٢﴾ سورة فاطر, الآية ٣٢. قال ابن كثير: (يقول -تعالى -: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب, الذين اصطفيناهم من عبادنا، وهم هذه الأمة) تفسير القرآن العظيم, ج٣, ص٥٥٤, وقال أبو جعفر الطبري: (وإنما عنى بقوله: ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ الكتب التي ذكرنا؛ لأن الله -جل ثناؤه - قال لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ﴾ ثم أتبع ذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ فكان معلوماً إذا كان معنى الميراث إنما هو انتقال معنى من قوم إلى قوم آخرين, ولم تكن أمة على عهد نبينا -صلى الله عليه وسلم - انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته, أن ذلك معناه: وإذا كان ذلك كذلك فبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته) جامع البيان ج٢٠, ص٤٦٩ .

الوضيعة, وأيبست الشجرة الخضراء, وأفرخت الشجرة اليابسة, أنا الرب تكلمت وفعلت)[(١)]، وقوله: (وضعت الشجرة الرفيعة) أي أنه أزال شرف الشجرة التي كانت رفيعة القدر بالنبوة والرسالة -أولاد سيدنا إسحاق ويعقوب - وقوله: (ورفعت الشجرة الوضيعة) أي رفع شجرة سيدنا إسماعيل، وهم ذريته, بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم. وقوله: (وأيبست الشجرة الخضراء) كناية عن انقطاع النبوة منهم, ونسخ شريعتهم, والشجرة متى يبست لا تنتج، ولا تثمر، وليس لها إلا النار, كما قال سيدنا عيسى في إنجيل متى إصحاح٣ عدد١٠ وفي إنجيل لوقا إصحاح ٣ عدد٩: (والآن وضعت الفأس على أصل الشجرة [(٢)]، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع، وتلقى في النار), وقوله: (وأفرخت الشجرة اليابسة)؛ لعدم النبوة والرسالة. وقوله: (فينبت أغصانا، ويحمل ثمراً، ويكون أرزا واسعا) كناية عن تكوين دول وممالك, وأنه يكون أمة كبيرة [(٣)] وقوية وعظيمة. وقوله: (فيسكن تحته كل طائر وكل ذي جناح يسكن في ظل أغصانه) كناية عن أن شريعته تكون عامة لجميع الإنس والجن، وأن الناس ستأوي إليها محتمية بعدلها ورحمتها[(٤)].

---

(١) في طبعة ١٩٩١م جاء هذه الفقرة تحت رقم ٢٤ وجاءت كلمة أيبست بلفظ: ويبست.

(٢) في طبعة ١٩٩١م وردت هذه الكلمة في متى ولوقا هكذا (على أصل الشجر).

(٣) قال بهذا اللفظ سفر التكوين إصحاح ١٧ عدد٢٠, وإصحاح ١٨ عدد ١٨, وإصحاح ٢١عدد ١٨.ن.

(٤) ويضاف إلى هذا النص الذي استشهد به المؤلف للدلالة على نزع النبوة من بني إسرائيل ما جاء في إنجيل متى منسوباً إلى المسيح، وهو قوله: (أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه=

وذلك بمعنى قوله -تعالى -: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[١].

وهنا تظهر حكمة الله البالغة في إرسال الأنبياء والمرسلين من أولاد سيدنا يعقوب[٢]؛ ليكونوا جميعاً سفراء أمام[٣] الرسول العام لجميع الإنس والجن؛ ليمهدوا السبل, ويهيئوا العقل البشري لقبول دعوة سيد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد بن عبد الله -صلوات الله وسلامه عليه - قال - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾[٤]

=البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب, كان هذا، وهو عجيب في أعيينا, لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره) متى ٢١: ٤٢ - ٤٣.

(١) سورة الفتح ,الآية ٢٩.

(٢) قال -جل ثناؤه -: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ ﴾ سورة الأنعام, الآية١٢٤.

(٣) انظر هامش رقم (٢) في ص(٨٩) من هذا الكتاب.

(٤) سورة المائدة, الآية ١٩.

قول التوراة الصريح بأن سيدنا إسماعيل هو الذبيح[(١)]

جعل الله صاحب الشرع الدائم, والرسول العام, سيد الأنبياء, وخاتم المرسلين محمداً -صلى الله عليه وسلم - من ذرية سيدنا إسماعيل جزاء له على صبره في محنته وبلائه ورضاه وتسليمه لقضاء الله وقدره,قال -تعالى -: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾[(٢)]

قالت التوراة بسفر التكوين إصحاح٢٢ عدد٢ :(خذ ابنك وحيدك الذي تحبه)وفي عدد١٦ يقول : (بذاتي أقسمت ، يقول الرب إني من أجل أنك فعلت هذا ، ولم تمسك ابنك وحيدك عني[(٣)] أباركك مباركة ، وأكثر نسلك كثيراً

(١) أكد على ما ذهب إليه هذا المهتدي عدد من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا ، منهم سعيد بن الحسن الاسكندراني في كتابه : مسالك النظر في نبوة سيد البشر, ص٥٩ -٦٠, والمهتدي إبراهيم خليل أحمد في كتابه : محمد -صلى الله عليه وسلم - في التوراة والإنجيل, ص ٣٣ -٤٢, والمهتدي عبد الأحد داود في كتابه : محمد في الكتاب المقدس,ص٦٢, والمهتدي محمد الهاشمي في كتابه : سر إسلامي,ص١١٢ -١١٣, كما أكد على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٤, ص٣٣١ -٣٣٦.

(٢) سورة الصافات ، الآيات ١٠٢ - ١٠٧.

(٣) في طبعة ١٩٩١م جاء النص بدون لفظة عني, وجاءت لفظة كثيراً : تكثيراً.

كنجوم السماء، وكالرمل الذي على شاطئ البحر. ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض) لم تتحقق هذه البشارة إلا بالأمة المحمدية التي يربو تعدادها على خمسمائة مليون[1]. وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- تباركت جميع الأمم والشعوب؛ لأنه -كما قدمنا- الرسول العام لبني البشر.

وقد أكدت التوراة -بوضوح- أن الذبيح سيدنا إسماعيل؛ لأنه كان يوما ما وحيداً لسيدنا إبراهيم, أما سيدنا إسحاق فلم يكن وحيداً ولا مفرداً؛ لأنه ولد لسيدنا إبراهيم بعد ما بلغ سن سيدنا إسماعيل ١٤ سنة، قال بذلك سفر التكوين إصحاح ١٧ عدد٢٤: (وكان إبراهيم ابن ٩٩ سنة, حين ختن في لحم غرلته. وكان إسماعيل ابنه ابن ١٣ سنة حين ختن في لحم غرلته. في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه)وفي إصحاح٢١ عدد٥ قال: (وكان إبراهيم ابن ١٠٠ سنة حين ولد له إسحاق ابنه) وسيدنا إبراهيم بلغ سنه ٨٥ سنة، ولم يرزق نسلاً,قال -تعالى-: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[2] وقالت التوراة في سفر التكوين إصحاح ١٥ عدد٣ : (وقال إبرام -أيضاً-: إنك لم تعطني نسلاً)، فلما رزق بسيدنا إسماعيل تعلق به قلبه, ومن ذلك تظهر حكمة الله فيما قضاه على سيدنا إبراهيم من التفريق بينه وبين ابنه وحيده وفلذة كبده ومحبوبه. ونرى محبة سيدنا إبراهيم لابنه إسماعيل واضحة في التوراة في سفر التكوين إصحاح١٧ عدد١٨ فيما طلبه من الله قائلاً: (وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك). إذ

---

(١) أما اليوم فيتجاوز تعداد المسلمين ملياراً ومائتي مسلم.

(٢) سورة الصافات, الآيتان ١٠٠, ١٠١.

قد أمره ربه بإسكانه في مكان بعيد عنه, وفي قفر موحش ليس به زرع ولا ضرع. فشغله ذلك، ودعا ربه قائلاً: ﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾[1] فأراد الله أن يقلع جذور حب ابنه وحيده من قلبه, وكشف له عن مراده[2], فأراه الله ما رأى؛ ليعلم أهل السموات والأرض بشدة تعلق سيدنا إبراهيم بربه. وجزى الله سيدنا إسماعيل على صبره وبلائه وحرصه على طاعة ربه والانقياد لأبيه ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾[3] فخلد ذكره, وبعث من نسله سيد الأنبياء وخاتم المرسلين؛ إجابة لدعوة سيدنا إبراهيم ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ ﴾[4].

(١) سورة إبراهيم ,الآية ٣٧.
(٢) أوضح ابن القيم -رحمه الله - في كتابه القيم (زاد المعاد) هذا الأمر في الفصل الذي عقده لنسبه -صلى الله عليه وسلم -, وتناول فيه القول الصحيح في شأن الذبيح, وفند القول بأنه إسحاق بأكثر من عشرين وجهاً. ج١, ص٧٤.
(٣) سورة الصافات, الآية ١٠٢.
(٤) سورة البقرة ,الآية ١٢٩.

المنارة التاسعة

البشـــائر

بشر الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ببعثة خاتم المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم - وقد أخذ الله عليهم العهد والموثق إن أدركوه أن ينصروه ويتبعوه. قال -تعالى -: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[١]

ونحن نرى أن سيدنا موسى وسيدنا عيسى -عليهما الصلاة والسلام - ذكرا أوصافه -صلى الله عليه وسلم - لأتباعهما ؛ ليؤمنوا به[٢]، ولكنهم أنكروا رسالته ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٨١.

(٢) بشر الأنبياء السابقون -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين، ولا تزال كتبهم تحفل بهذه البشارات التي أشار إليها القرآن الكريم، كما في قوله -جل ذكره -: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا

ٱلۡحَقُّ﴾[١] فاليهود كانوا يعلمون أوصافه تماما ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩٠﴾ ﴾[٢]

بشرت التوراة بمبعثه -صلى الله عليه وسلم - في غير موضع, ففي سفر التكوين إصحاح ٤٩ عدد ١٠ : (لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه, حتى يأتي شيلون ، وله يكون خضوع شعوب)، والمعنى أن النبوة

عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة الفتح, الآية٢٩,وقوله -سبحانه وتعالى -: ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ سورة البقرة, الآية ١٤٦, وقال -تعالى - :﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ ﴾ سورة الأحقاف, الآية١٠.

ولقد حرصت يد التحريف والتبديل على طمس كل ما من شأنه أن يشهد لنبوة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم - ومع ذلك بقيت عشرات النصوص التي أعماهم الله عنها ؛ لتكون سبباً في هداية من شاء الله هدايته من أهل الكتاب, يستدلون بها ، ويحاجون بها قومهم ؛ ولذلك لا يكاد يخلو كتاب ألفه مسلم من أهل الكتاب في هذا الشأن من إيراد بعض هذه النصوص والاستشهاد بها, وبعض هذه الشواهد تكاد تكون محل اتفاق فيما بينهم, كما سترى في التعليق على هذه البشارات, وقد استقصيت في كتابي (مسلمو أهل الكتاب) هذه الشواهد التي ذكرها هؤلاء ، فبلغت ستاً وتسعين بشارة.

(١) سورة البقرة ,الآية ١٠٩.

(٢) سورة البقرة ,الآيتان ٨٩, ٩٠.

تبقى في سلالة يهوذا أكبر أولاد سيدنا يعقوب حتى يأتي (شيلون) أي الإسلام، وتخضع له سائر الأمم[١].

وفي سفر التثنية إصحاح١٨ عدد١٨ : (أقيم لهم نبياً من وسط إخوته[٢] مثلك, وأجعل كلامي في فمه, فيكلمهم بكل ما أوصيه به, ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه)[٣].

والمعنى: أني سأبعث في فرع إسماعيل- أولاد الأخ- رسولا مثلك في كثير من الأحكام التي أوحيها إليه, كما أوحيت إليك من مشروعية الجهاد والوضوء والمعاملات, وأصطفيه وأعصمه، فلا ينطق إلا بوحي, ومن عصاه فقد عصاني, وسأعذبه أشد العذاب. وقد قال سفر التثنية: إن هذه البشارة لا تخص أنبياء بني إسرائيل, حيث يقول في إصحاح ٣٤ عدد١٠ : (ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه).

وفي مزمور ٤٥ عدد٢ : (أنت أبرع جمالا من بني البشر, انسكبت النعمة على شفتيك؛ لذلك باركك الله إلى الأبد,تقلد سيفك على فخذك أيها

---

(١) تناول المهتدي عبد الأحد داود في كتابه (محمد في الكتاب المقدس) هذه البشارة, وكشف اللثام عن مكنونها, وأبان أنها تخص محمداً -صلى الله عليه وسلم - وبين أن المراد بـ (الشيلون) أو "الشيلو" هو محمد -صلى الله عليه وسلم -. انظر: محمد في الكتاب المقدس,ص٧٧ - ٨٥.

(٢) ورد هذه الكلمة في طبعة١٩٩١م هكذا (إخوتهم).

(٣) هذه البشارة تكاد تكون محل إجماع من كل من كتب في هذا الجانب, فقد أوردها المهتدي علي الطبري في كتابه: الدين والدولة,ص١٣٧, والسموأل في كتابه: إفحام اليهود, ص١١١, والمهتدي المتطبب في كتابه: فضيحة الملة النصرانية,ص١٤٤, والمهتدي الترجمان في كتابه: تحفة الأريب, ص٢٦٠, والمهتدي الإسكندراني في كتابه: مسالك النظر, ص٤٩, والمهتدي زيادة النصب رأسي في كتابه: البحث الصريح, ورقة ٢١/أ, والمهتدي إبراهيم خليل أحمد في كتابه: محمد -صلى الله عليه وسلم - في التوراة والإنجيل,ص٦٧ - ٦٩.

الجبار, جلالك وبهاءك, وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر, فتريك يمينك مخاوف! نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون)[١]

والمقصود بهذا الخطاب هو سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم -؛ لأنه لن تبقى شريعة إلى الأبد غير الشريعة المحمدية, وهو الذي حمل السيف في سبيل الله, وكان يهابه من يراه, وهو الذي هاجر، وغزا من أجل الحق والبر وإنصاف المظلومين, وهو الذي نصر بالرعب, وفعلت نباله فعلها في قلوب أعداء الله, وأذل الله دول الفرس والرومان له, وأخضع لدينه القياصرة والأكاسرة.

وقال أشعياء النبي في إصحاح ٤٢: (هو ذا عبدي الذي أعضده, مختاري الذي سرت به نفسي,وضعت روحي عليه, فيخرج الحق للأمم, لا يصيح، ولا يرفع، ولا يسمع في الشارع صوته, قصبة مرضوضة لا يقصف, وفتيلة خامدة لا يطفأ, إلى الأمان يخرج الحق, لا يكل ولا ينكسر, حتى يضع الحق في الأرض, وتنتظر الجزائر شريعته)... إلى أن يقول:(لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار)[٢]

---

(١) ذكر هذه البشارة –أيضاً – المهتدي الطبري في كتابه: الدين والدولة,ص١٣٩, والمهتدي زيادة في كتابه: البحث الصريح, ورقة٢٦/أ.

(٢) ذكر هذه البشارة المهتدي إبراهيم خليل في كتابه: محمد -صلى الله عليه وسلم - في التوراة والإنجيل,ص ٤١, والاسكندراني في كتابه: مسالك النظر,ص٥٩, والترجمان في كتابه: تحفة الأريب,ص٢٧٩.

والإشارة هنا إلى النبي محمد -صلى الله عليه وسلم[١] - اختاره الله، ورضي عنه، وأيده, فأخرج للناس الحق, وهو صاحب الخلق العظيم الرؤوف الرحيم, نصير المظلومين وعون المحتاجين, الذي صبر على الحق, وكانت الأمم تتهافت على الدخول في دينه أفواجاً, وهو المبعوث للإنس والجن,وبلده مكة، وهي الديار التي سكنها (قيدار) أحد أبناء سيدنا إسماعيل كما نص على ذلك سفر التكوين إصحاح ٢٥ عدد١٣.

وقال سفر ملاخي بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ونبي الساعة, وبين وظيفته -صلى الله عليه وسلم -, وما يقوم به من رد كتب الوحي لحقيقتها: (ها أنذا أرسل إليكم إيلياء[٢] النبي قبل مجيء يوم الرب, اليوم العظيم والمخوف, فيرد قلب الآباء على الأبناء, وقلب الأبناء على آبائهم؛ لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن)[٣]

والمعنى: أن الله -تعالى - يرسل قرب الساعة[٤] النبي أحمد - صلى الله عليه وسلم - (فيرد قلب الآباء على الأبناء) يرد بني إسماعيل -

---

(١) ومما يؤكد أن هذا النص يشير إلى محمد -صلى الله عليه وسلم - أن في بقيته تصريح بذكر أحد جبال المدينة النبوية، وهو جبل(سالع) حيث قال إشعياء: (لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار؛ لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال)٤٢ : ١١.

(٢) جمل كلمة - إيلياء -٥٢ وهو تعداد جمل اسمه الشريف أحمد صلى الله عليه وسلم.ن. وهذه الطريقة طريقة معروفة في الحساب القديم، وهي قائمة على أن كل حرف من حروف الأبجدية يساوي عدداً معيناً، فالحرف أ=١,ب=٢,جـ= ٣......ك=٢٠,ل=٣٠... وهذا التوافق بين حروف الاسم وحروف اسم آخر لا يعتبر دليلاً علمياً.

(٣) ملاخي : ٤ : ٥, ٦.

(٤) تأمل ما في هذه البشارة من الوعد بمجيئه -صلى الله عليه وسلم - قرب يوم القيامة, مع قوله -صلى الله عليه وسلم - : (بعثت أنا والساعة هكذا، ويشير بأصبعيه فيمد بهما) رواه

أعمام بني إسرائيل - لحقيقة وحي الأنبياء والمرسلين من أبناء أخيهم إسحاق (وقلب الأبناء على آبائهم) ويرد اليهود والنصارى إلى دين آبائهم الأنبياء: نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وعيسى,قال - تعالى -: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[١]، ونعى على المكابرين المعاندين فقال: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[٢] هذا قليل من كثير[٣] من البشائر التي جاءت في التوراة تتحدث عن خاتم المرسلين وأوصافه وكريم خلقه وعموم رسالته وخلودها, كما أن الأناجيل جميعها بشرت ببعثة خاتم المرسلين -صلى الله عليه وسلم - في غير موضع.

البخاري في= =صحيحه في كتاب الرقاق,باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم - : بعثت أنا والساعة كهاتين, ومسلم في كتاب الجمعة ,حديث٨٦٧، واللفظ للبخاري.

(١) سورة الشورى, الآية ١٣.

(٢) سورة البقرة, الآيات ١٣٠ -١٣٢.

(٣) ليست هذه البشارات التي أوردها هذا المهتدي هي كل ما في التوراة والإنجيل، وليست هي - أيضاً - كل ما استطاع هذا المهتدي استنباطه منهما؛ لأنه أورد شواهد فقط للتدليل على نبوته -صلى الله عليه وسلم - ويشاركه في ذلك المهتدي الترجمان حيث قال: (ولو ذكرت جميع ما في كتب الأنبياء المتقدمين من ذلك, أي البشارات, لطال الكتاب، وأنا أرجو أن أجمع لبشارات جميع الأنبياء به كتاباً مجرداً لذلك)تحفة الأريب,ص٢٨٣.

ففي معنى ما تقدم عن أشعياء النبي يقول إنجيل متى إصحاح ١٢ عدد١٧ : (هو ذا فتاي الذي اخترته, حبيبي الذي سرت به نفسي, أضع روحي عليه ؛ فيخبر الأمم بالحق, لا يخاصم ، ولا يصيح ، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته, قصبة مرضوضة لا تقصف, وفتيلة مدخنة لا يطفأ, حتى يخرج الحق إلى النصرة, وعلى اسمه يكون رجاء الأمم)[١].

في معنى ما تقدم -أيضاً - عن ميخا[٢] النبي في إنجيل متى إصحاح ١٧ عدد١١, وفي إنجيل مرقس إصحاح ٩ عدد١١ :(فسألوه قائلين: لماذا يقول الكتبة: إن إيلياء ينبغي أن يأتي أولاً؟ فأجاب، وقال لهم: إن إيلياء يأتي أولاً ، ويرد كل شيء) ونجد المحرفين[٣] يشيرون بأن هذا الكلام على يوحنا- أي سيدنا يحيى- مع أن سيدنا يحيى ليس له شرع[٤],ولا كتاب بَيَّنَ المفتريات والأكاذيب التي بالكتب السابقة، وردها لحقيقتها (وإلياء) كما قدمنا جملها (٥٢),وهو تعداد جمل اسمه الشريف أحمد -صلى الله عليه وسلم - وكتابه القرآن الكريم الذي قال فيه منزله: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ

---

(١) انظر هامش رقم (١) ص(١٠٩)من هذا الكتاب.

(٢) الإشارة هنا إلى ما سبق النقل عنه هو ملاخي وليس ميخا . انظر ص(١٠٩)من هذا الكتاب.

(٣) انظر تفنيد مسلمي أهل الكتاب لهذه التحريفات، وبيان أن المقصود بهذه البشارة محمدٌ -صلى الله عليه وسلم - في كتاب (مسلمو أهل الكتاب) للمحقق, ج٢, ص٦١٥ - ٦١٨.

(٤) قصد المؤلف أن يحيى -عليه السلام - لم يأت بشريعة، وأمر بتبليغها، كما جاء بها موسى ومحمد -عليهما الصلاة والسلام -.

مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[١].

والإنجيل يخبر عن نبي لم يرسل بعد, كما أثبت ذلك إنجيل متى إصحاح ١١ عدد١٤, ١٥ حيث يقول: (وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي) أي إن أردتم أن تتبعوه فاتبعوا أحمد الذي سيبعث, وشدد عليهم في التمسك بهذه الوصية، والمحافظة عليها فقال: (من له أذنان للسمع فليسمع).

وقال إنجيل يوحنا إصحاح١٤ عدد٢٥:(وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي -أي النبوة والرسالة - فهو يعلمكم كل شيء, ويذكركم بكل ما قلته لكم), وفي عدد٣٠:(لا أتكلم أيضاً معكم كثيرا؛ لأن رئيس هذا العالم يأتي، وليس له في شيء) أي ليس من بني قومي, عدد٣١: (ولكن ليفهم العالم أن أُحِبَ الآب، وكما أوصاني الآب هكذا أفعل) فلا تستغربوا من تعظيمي لرسول يأتي من غير نسلي؛ لأني رسول الله وما يأمرني به أقوله لكم, والمعزي الروح القدس[٢] جاءت في النسخة اليونانية

---

(١) سورة المائدة,الآيتان١٥, ١٦, وبعد هاتين الآيتين جاء في الطبعة الأولى قول المؤلف: انظر صفحة ٦٥ من هذا الكتاب, وهي توافق ص ١٠٧, ١٠٨من هذه الطبعة.

(٢) هذا النص والنصوص المشابهة له التي تتحدث عن (المعزي) و(الفارقليط) الذي سيأتي بكل الحق لجميع الخلق, تكاد تكون محل إجماع ممن أسلم من أهل الكتاب, وصنف في هذا الباب, بل إن المهتدي الترجمان لما وقف على الترجمة الحقيقية لهذه الكلمة أعلن إسلامه بسبب ذلك, ودّون هذا الموقف العجيب الذي قاده إلى ذلك في كتابه: تحفة الأريب, ص٦٦ -٧١ و٢٦٧, وانظر -أيضاً - لمزيد بيان حول ذلك: الدين والدولة,ص١٨٤, والنصيحة الإيمانية ص١٣٩, والبحث الصريح، ورقة ٢٤/ب, ومحمد في الكتاب المقدس, ص٢١٩، وسر إسلامي, ص١١٣ -١١٧, ومحمد -صلى الله عليه وسلم - في التوراة=

HEPIKAHTOZوبالإفرنجيPERICLETOS وذلك ترجمته حماد وأحمد، فهو أحمد، وأمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال, ومفتاح صلاتهم الحمد.

وفي إصحاح١٦ عدد١٣ :(وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ؛ لأنه لا يتكلم من نفسه, بل كل ما يسمع يتكلم به)[١] وذلك معنى قوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾[٢].

وفي إنجيل لوقا إصحاح٢٠ عدد١٧ -ذكر لهم أخبار من تقدم، وقال لهم يسوع: (أما قرأتم قط في الكتب -مزمور ١١٨ عدد٢٢ الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأساً للزاوية من قبل الرب, كان هذا وهو عجيب في أعيننا)[٣] أن يرسل رسولاً من غير الإسرائيليين.

وقد بين السيد المسيح ما خص به ذلك (الحجر) محمد -صلى الله عليه وسلم - من النصر والتأييد (ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط عليه يسحقه).

ويشير إلى هذا النص قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً, فأحسنه, وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية

=والإنجيل, ص٤٧, ٤٨, ٤٩, ٥٢, ٥٤, ٥٦, ٧٢, ٧٥, والقرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم, ص ١٢٥.

(١) أورد هذه البشارة -أيضاً - المهتدي الهاشمي في كتابه: سر إسلامي, ص١١٨, والمهتدي إبراهيم خليل في كتابه: محمد -صلى الله عليه وسلم - في التوراة والإنجيل, ص٤٧, ٤٩, ٥٢, ٥٤, ٥٦, ٧٢, ٧٥.

(٢) سورة النجم, الآيتان٣, ٤.

(٣) ذكر هذه البشارة المهتدي زيادة في: البحث الصريح, ورقة٢٩/ب, والمهتدي عبد الأحد داود في كتابه: الإنجيل والصليب,ص٧٦ وما بعدها, والمهتدي الهاشمي في كتابه: سر إسلامي, ص١١٤ - ١١٥, والمهتدي إبراهيم خليل في كتابه: محمد في التوراة والإنجيل, ص٧٣.

من زواياه, فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت تلك اللبنة, فأنا تلك اللبنة, وأنا خاتم الأنبياء)[١] وفي رواية :(وبي ختم الله الرسل).

وفي إنجيل متى إصحاح٣ عدد٨ ومرقس إصحاح١ عدد٧ ولوقا إصحاح٣ عدد١٦ : (يأتي بعدي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم[٢] بروح ونار الذي رفشه في يده، وينقي بيدره، ويجمع

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب, باب خاتم النبيين محمد -صلى الله عليه وسلم - ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل, حديث٢٢٨٦.

(٢) وبمناسبة قوله: (هو سيعمدكم بروح ونار)نقول.... إن الشرائع السماوية أوجبت الطهور لكل صلاة على المؤمن لما فيها من المنافع, فبالوضوء يزيل الأوساخ والقاذورات, فيحتفظ بصحته وعقله وعافيته,وتكون رائحته زكية مقبولة وطلعته منيرة وضيئة. أثبت الطهارة (الوضوء) إنجيل يوحنا إصحاح ٢ عدد ٦ (وكانت ستة أجران - أواني كالجرار - من حجارة موضوعة هناك, حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين- لترين- أوثلاثة) وقد تطهر سيدنا عيسى, كما طهره من قبل سيدنا يحيى في نهر الأردن, وبعدها ابتدأ عيسى يطهر الناس مثل سيدنا يحيى, كما قال بذلك إنجيل يوحنا إصحاح ٣ عدد ٢٢: (وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية, ومكث معهم هناك, وكان يعمد, وكان يوحنا –أيضاً - يعمد في عين نون - بقرب ساليم - لأنه كان هناك مياه كثيرة) وعبّر عدد ٢٥ عن التعميد بالطهور. وقبل ارتفاعه علم تلاميذه الطهور في إنجيل يوحنا إصحاح ١٣ عدد ٥, وقام بغسل أرجلهم بعد ما اغتسلوا تتميماً للطهارة, كما أثبت ذلك عدد ٩ (قال يسوع : الذي اغتسل ليس له حاجة إلا غسل رجليه).

وقد انحرف النصارى عن وصايا السيد المسيح وتعاليمه, وتركوا الطهور لكل صلاة,وجعلوه مرة واحدة في العمر, ويكون للطفل، وهو صغير، فيغطس القسيس الطفل ثلاث مرات في الماء, أو يرشه به؛ ليكون نصرانياً,هذه هي الطهارة عند المسيحيين، وهي طهارة خالية من عمل القلب, وهو النية أي الروح، بينما الطهارة في الإسلام تهدف إلى طهارة الروح والجسم معا, ونجد الإسلام عني عناية كبيرة بطهارة القلوب, والحرص على نظافة السريرة ونقاء الضمير, لقوله –تعالى -: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة غافر, الآية ١٩]. وقوله -صلى الله عليه وسلم - : (ألا إن في الجسد مضغة, إذا صلحت صلح الجسد كله, وإذا فسدت فسد الجسد كله) [رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان, باب فضل من استبرأ لدينه,= =ومسلم في

قمحه إلى المخزن, وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ)(١)

وقوله: (الذي رفشه في يده) ونسخة الآباء اليسوعين (الذي بيده المذرى) إشارة إلى ما قام به من حروب وجهاد مع الكفار لنصرة دين الله

صحيحه في كتاب المساقات، حديث ١٥٩٩] . وقوله: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم , ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) [رواه الإمام أحمد في مسنده, ج٢, ص ٢٨٥ , ٥٣٩, ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة حديث ٢٥٦٤]. ولذا يحتم الإسلام التيمم بالتراب، إذا لم يتسير الوضوء بالماء, قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [سورة النساء, الآية ٤٣] وقال -صلى الله عليه وسلم -: (أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي)وعد من ذلك (وجعلت لي الأرض مسجداً وتربتها طهوراً) [رواه البخاري في صحيحه في كتاب التيمم, باب حدثنا عبد الله بن يوسف, ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد, حديث ٥٢١] وبالنية تتلاشى الصفات الجسمية, وتضمحل برجوعها إلى أصلها ومصدرها التراب عند التيمم, وتتفرغ الروح لمناجاة ربها, زاهدة في الدنيا وزخارفها, مقبلة على عبادة ربها, حتى تصير بذلك مهبطا للتجليات الإلهية والإشراقات الربانية, فيزداد من الله قربا ومن عوامل الشر بعدا، محققا لمعنى الإحسان الذي بينه الرسول في قوله: (أن تعبد الله كأنك تراه, فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير, باب قوله: إن الله عنده علم الساعة, ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان, حديث ٨] وهذه هي أنوار الشريعة الإسلامية المقصودة من كلمة (ونار) تجلي لنا ما في الكتب السابقة التي جعل الله القرآن الكريم مهيمنا عليها, قال -تعالى -: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾سورة المائدة, الآيتان١٥ , ١٦]. ن .

(١) استشهد بهذا النص المهتدي عبد الأحد داود في كتابه: محمد في الكتاب المقدس، وقارن في هذا المبحث المتعلق بهذا النص بين المعمودية وصبغة الله الواردة في القرآن, وبين أن المقصود بقوله: (سيعمدكم بروح ونار) أن المقصود به طهارة المسلم ظاهراً وباطناً، واستسلامه لله، وتزكية نفسه وروحه، وتطهيرها من أدران الشرك والكفر, ص١٩٧ - ٢٠٦.

وإعلاء كلمته, وقوله: (وينقي بيدره) بمعنى يطهر موطنه من الأصنام ومن عبدتها المشركين.

وقوله: (ويجمع قمحه إلى المخزن) أي يجمع صحابته والمؤمنين به عند بيت الله الحرام. (وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ) أي يقضي على عناصر الشر والفساد في العالم, ويناهض أهل الشرك والضلالة وعبادة الأصنام.

ويقرب من هذا ما جاء بالقرآن الكريم: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ[1] تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ[2] أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ

(١) بينت هذه الآية -مع إيجازها- مرامي الشريعة الإسلامية في ثلاث نقط تتصل بحياتنا ومعادنا:

(أ) بينت ما يجب على أمة محمد مع الخارجين عليها من أعدائها، فقالت: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾, فتكون عزيزة الجانب مرهوبة.

(ب) ما يجب عليها في داخليتها فقالت: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾، فتكون قوية لألفتها وشعورها العميق بالأخوة الصادقة.

(ج) ما يجب عليها لربها فقالت: ﴿ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾, فيراقبون واهب النعم والحياة في السر والعلن، فيؤيدهم بعزه ونصره. ن.

(٢) بين -تعالى- كمال الشريعة الإسلامية، فمثلها بالزرع كامل النمو والازدهار؛ لأنه قوام الحياة لجميع المخلوقات الأرضية, وذلك إشارة لعموميتها لجميع الناس، وتكفلها بما يصلح كل حي في كل زمان وفي كل مكان . ن.

قلت: المثل المضروب لصحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وليس للشريعة, قال ابن جرير -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: (وصفتهم في إنجيل عيسى صفة زرع أخرج شطأه، وهو فراخه...

ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[١].

فمثلت الأناجيل أمة محمد مرة بالكرم[٢]، ومرة بالبيدر - جرن القمح[٣] - ومثلها سيدنا أشعياء بالنرجس[٤]، ومثلها سيدنا حزقيال بشجر الأرز.[٥]

ملحوظة: أشار إنجيل لوقا إلى شدة تعصب اليهود لقوميتهم في بشارة (الحجر) فقال : إنهم أرادوا القبض على السيد المسيح لما قال لهم: إنه المؤيد المنصور من الله, ولا طاقة لهم به؛ ولذلك قال في عدد ٣١ إصحاح ١٤ من إنجيل يوحنا لما قال لهم إن رئيس العالم ليس منهم: (قوموا ننطلق من هاهنا).

وإنما مثلهم بالزرع المشطئ؛ لأنهم ابتدؤوا في الدخول في الإسلام, وهم عدد قليلون، ثم جعلوا يتزايدون, ويدخل فيه الجماعة بعدهم, ثم الجماعة بعد الجماعة, حتى كثر عددهم , كما يحدث في أصل= =الزرع الفرخ منه, ثم الفرخ بعده, حتى يكثر وينمي) جـ ٢٢, ص٢٦٥, وانظر تفسير القرآن العظيم, جـ ٤, ص٢٠٤, وانظر التفسير الكبير, جـ٢٨,ص٩٤.

(١) سورة الفتح, الآية٢٩.

(٢) انظر: إنجيل متى ٢١ : ٣٣ - ٤١.

(٣) كما مر معنا في البشارة السابقة.

(٤) انظر: إشعيا ٣٥ : ١.

(٥) انظر: حزقيال ١٧ : ٢٣, ٢٤.

المنارة العاشرة
تصريح الأناجيل بحفظ سيدنا عيسى من الصلب ووقوع الشبه على غيره[١]

القرآن الكريم يصرح بأن الذي قتل وصلب شبيه عيسى -عليه السلام -

---

(١)تعتبر مسألة صلب المسيح -عليه السلام - من الركائز الأساسية التي تعتمد عليها الديانة النصرانية, وهي مبنية على مسألة بنوة المسيح لله رب العالمين - تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا - كما أنها متفرعة عن تكفير خطيئة آدم - عليه السلام - حينما أكل من الشجرة, وقد ناقش هذه المسألة، وفندها كل من أسلم من أهل الكتاب، وصنف في هذا المجال, وبينوا أساسها الوثني, وقدموا عدداً من الأدلة التي استدلوا بها على فسادها, فمن أدلتهم في هذا الصدد :

١ـ يلزم من الاعتقاد بهذا أن تكون البشرية منذ آدم حتى المسيح -عليهما السلام - كانت ترزح تحت ثقل الخطيئة الموروثة, وأن الله قد غضب على هؤلاء البشر. وهذا باطل من وجوه :

أ - أن الله -سبحانه وتعالى - اختار رسلاً كراماً في هذه الفترة الواقعة بين آدم والمسيح، وأكرم هؤلاء الرسل بالآيات العديدة، ووعدهم بالنعيم في الدنيا والآخرة, ولم يرد عنهم ولا عن المسيح أنهم كانوا مثقلين بالخطيئة.

ب - أن نصوص العهد القديم ترفض وراثة الخطيئة.

ج - أن المسيح -عليه السلام - قال : لم آت لأدعو صديقين، بل خطاة إلى التوبة, فيلزم من ذلك أن يوجد في عهده صديقون لم يتدنسوا بالخطيئة.

٢ - أن هذه الدعوى تنافي العدل؛ إذ كيف يترك الله البشر -وفيهم الصالحون -تحت وطأة العذاب والظلم منذ آدم حتى المسيح بسبب خطيئة آدم مع أن من يأتي بعد المسيح من ذرية آدم لا يحمل من خطيئته شيئاً.

=

=٣ - لم يكن المسيح بدعاً من الرسل، فقد سبقه عدد من الأنبياء والمرسلين, فمنهم من أغرق الله الأرض بسبب دعوته, ومنهم من اتخذه الله خليلاً, ومنهم من كلمه الله .... ثم يبقى هذا السر مكتوماً على جميع هؤلاء الأنبياء، وقد شملتهم هم وأقوامهم الخطيئة، ولم يكن لهم علم ولا خبر.

٤ - الاستشهاد بنصوص الأناجيل التي تؤكد أن المسيح -عليه السلام - لم يصلب، ولم يقتل وإنما ألقي الشبه على غيره.

٥ - أثبتت الأناجيل رفع المسيح حياً ونزوله في آخر الزمان.

٦ - أن الذنب يغفر بالتوبة والاستغفار، ولا تجوز التضحية بشخص لمغفرة ذنوب الآخرين.

٧ - ثبت في رسائل بولس أن المصلوب على خشبة ملعون ونجس, فكيف يصح أن يهب النجس الطهارة لغيره؟ وكيف يزكي الملعون المخطئين؟ إنه بحاجة إلى من يطهره ويزكيه!

٨ - جميع الشرائع الإلهية والفطر السوية، بل حتى القوانين الوضعية ترفض هذا المبدأ؛ فكيف يقبل هذا الظلم في حق الله -سبحانه وتعالى -.

٩ - التباس الروايات واختلافها حول هذه الحادثة يبطل الاستدلال بها, فقد اختلفوا حول شخصية الضحية الذي وقع عليه الحدث, كما اختلفوا في رواية مثوله أمام المحكمة, واختلفوا في اسم حامل الصليب, واختلفوا في موقف المسيح من الصلب, واختلفوا في توقيت الحادثة. ولمزيد من النظر في مراجع هذه القضية انظر: المسيح إله أم إنسان، للمهتدي مجدي مرجان, ص١٢٦ - ١٢٧, ١٣١ - ١٣٦, ١٣٩ - ١٤٢, والبحث الصريح, للمهتدي الشيخ زيادة, ورقة ٨/ أ, ١٥ - ١٦، والإنجيل والصليب, للمهتدي عبد الأحد داود, ص٧, ٨, ١٦٤, ومحمد في الكتاب المقدس، للمهتدي عبد الأحد داود,

يقول الله -تعالى -: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [١] والأناجيل تنص على مثل هذا المعنى.

قال إنجيل لوقا إصحاح٤ عدد٢٩ : (فقاموا، وأخرجوه خارج المدينة، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه أسفل, أما هو فجاز في وسطهم، ومضى).

وقال بالحفظ -أيضاً - إنجيل يوحنا إصحاح٨ عدد٥٩ : (فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى، وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم). وفي إصحاح١٠ عدد٣٩ : (فطلبوا -أيضاً - أن يمسكوه، فخرج من بين أيديهم)[٢].

ومن أراد أن يستزيد فليراجع متى إصحاح١٧ عدد٢، ومرقس إصحاح٩ عدد٢, وإصحاح١٦ عدد١٢, ١٤, ولوقا إصحاح٩ عدد٢٩, وإصحاح٢٤ عدد١٥, ١٦, ٣١,ويوحنا إصحاح٢٠ عدد ١٤, وإصحاح٢١ عدد٤.

ص ٨٢, ١٧٤ - ١٩٤, والنصيحة الإيمانية, للمهتدي المتطبب,ص٧٤, ١٠١, ومحمد - صلى الله عليه وسلم - في التوراة والإنجيل، للمهتدي إبراهيم خليل, ص ١٠٣, ١٦٨, ١٦٩, والغفران بين الإسلام والمسيحية، للمهتدي إبراهيم خليل, ص ١١٥ - ١١٩, ١٠٧ -١٠٨, وسر إسلامي، للمهتدي محمد فؤاد الهاشمي, ص٧٧, ٧٩, ٨٣, ومسلمو أهل الكتاب, للمحقق,ج١, ص٤٨٥ - ٤٩٦.

(١) سورة النساء، الآية ١٥٧.

(٢) كلمته (بين) غير موجودة في طبعة ١٩٩١م.

والقائلون بالصلب تخبطوا, فاليهود حين أرادوا قتل السيد المسيح لم يكونوا متحققين من شخصيته ؛ حتى استأجروا من يدلهم عليه, وأعطوه أجراً على ذلك مقدماً ثلاثين درهما من الفضة, وازداد شكهم بعد القبض عليه حتى استحلفه رئيس الكهنة في جمع من العلماء باسم الله الحي سائلا (أنت المسيح؟فقال: أنت تقول) - وإنجيل لوقا إصحاح٢٢ عدد٦٧ يقول: إنهم سألوه قائلين:(إن كنت أنت المسيح فقل لنا. فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني) على أنه -صلوات الله وسلامه عليه - قد أخبر بما يكون من أمر الشك, فقال في مرقس إصحاح١٤ عدد٢٧: (كلكم تشكون في هذه الليلة)[1] كما أكد أنه -عليه السلام - ذاهب إلى السماء, وسيبعث الله بعده خاتم المرسلين محمداً -صلى الله عليه وسلم - قال إنجيل يوحنا إصحاح١٦ عدد٧: (لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق ؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله لكم)[2], عبر عن الرفع بكلمة -أنطلق - سفر الأعمال إصحاح١ عدد١١ قال:(إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء) .

وضّحت الأناجيل كيفية الرفع في إنجيل متى إصحاح٤ عدد٦, ولوقا إصحاح٤ عدد١٠ يقولان: (مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك ؛ لكي لا تصدم بحجر رجلك).

---

(١) في طبعة ١٩٩١م بزيادة كلمة (في) فيكون النص كالتالي: كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة.

(٢) في طبعة ١٩٩١م جاء النص بلفظ: أرسله إليكم.

وأثبت هذا النص مزمور٩١ عدد١١, ١٢ وهذا نصه ابتداء من عدد٧: (يسقط عن جانبك ألف, وربوات عن يمينك, إليك لا يقرب, إنما بعينك[١] ترى مجازات الأشرار؛ لأنك قلت أنت يا رب ملجئي, جعلت العلى مسكنك, لا يلاقيك شر, ولا تدنو ضربة من خيمتك؛ لأنه يوصي ملائكته بك؛ لكي يحفظوك في كل طرقك, على الأيدي يحملونك؛ لئلا تصدم بحجر رجلك -إلى أن قال -: تعلق بي أنجيه, أرفعه لأنه عرف اسمي, يدعوني فأستجيب له, معه أنا في الضيق أنقذه وأمجده, طول الأيام أشبعه).

ونثبت هنا بعضاً مما سلم من التبديل من الأناجيل عن نجاة سيدنا عيسى ورفعه:

ذكر في أناجيل: متى إصحاح١٧ عدد١, ٨, ومرقس إصحاح٩ عدد١, ٨, ولوقا إصحاح٩ عدد٢٨, ٣٦، حادثة التجلي والرفع, وقد اختلفوا في نقلها,كما تناقضوا في غيرها, فخلطوا الحقائق ببعض الأباطيل؛ فتغيرت المعالم وضاعت الحقائق.

ولم يذكر هذه الحادثة إنجيل يوحنا, بل أشار للرفع في إصحاح١٢ عدد٢٨ عند طلبه النجاة (فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضاً) أي أن الله أجاب طلبه (مجدت) أي: أكرمتك بالنبوة والرسالة وأيدتك بالمعجزات (وأمجد أيضاً) وسأكرمك بالرفع. وقد أثبت إجابة الطلب رسالة العبرانيين إصحاح٥ عدد٧ : (الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسمع له من أجل تقواه) وقال مزمور ٩١ عدد١٤ :(أنجيه أرفعه؛ لأنه عرف اسمي يدعوني فأستجيب له, معه أنا في الضيق أنقذه وأمجده) ويفهم من عدد٣٤[٢] أن السيد المسيح لما أخبرهم بما أوحي به إليه من أمر الرفع سألوه قائلين: (فكيف تقول أنت: إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان؟) وفي عدد٣٥

(١) في طبعة ١٩٩١م: بعينك تنظر وترى.

(٢) من إنجيل يوحنا إصحاح ١٢ .

قال بقرب رفعه، كما حقق ذلك عدد٣٦: (تكلم يسوع بهذا ثم مضى واختفى)[١] وبين ذلك بوضوح إصحاح١٣ عدد٣٢ (الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه, إن كان الله قد تمجد فيه، فإن الله سيمجده في ذاته، ويمجده سريعاً) وقوله: (الآن تمجد ابن الإنسان) قال لهم سيدنا عيسى بما أوحى الله به إليه من أمر النجاة والرفع (وتمجد الله فيه)، وتعرفون أن الله على كل شيء قدير (إن كان الله قد تمجد فيه)، وقد عرفتم قوة الله وقدرته فيما أجراه على يدي من خوارق ومعجزات (فإن الله سيجمده في ذاته) أي إن الله سيكرمه، ويعزه في ذاته -أي جسده - فلا يلحقه إهانة، ولا جلد، ولا لطم، ولا بصق، ولا صلب، (ويمجده سريعاً) أي ويعزني بالرفع سريعاً كالبرق الذي يبرق تحت السماء, ثم يختفي في لمح البصر, كما قال بذلك إنجيل لوقا إصحاح١٧ عدد ٢٦ ,٣٦، وذكّرهم سيدنا عيسى بنجاة سيدنا نوح وسيدنا لوط من العذاب وهلاك أقوامهما؛ ليتأكدوا من نجاته هو أيضاً, وهلاك التلميذ الخائن, كما جوزيت امرأة سيدنا لوط لخيانتها لزوجها, قال عدد٣٣ : (اذكروا امرأة لوط) ثم تابع الشرح والبيان للحواريين؛ ليتأكدوا من أمر الرفع, ويثبتوا أمام التيارات المضادة لتيار الحق في عدد٣٤, ٣٦ (أقول لكم: إنه في تلك الليلة يكون اثنان على فراش واحد، فيؤخذ الواحد، ويترك الآخر) أي سيكون في ليلة الرفع: السيد المسيح والدال عليه يهوذا التلميذ الخائن, فيرفع سيدنا عيسى الصديق البار, ويبقى الخائن الغادر؛ لينال جزاءه, كما قالت التوراة في سفر الأمثال إصحاح١١ عدد ٨: (الصديق ينجو، ويأتي مكانه[٢] الشرير[١]) وفي إصحاح٢١

---

(١) هذا النص وضع المؤلف تحته خطاً في الطبعة الأولى.

(٢) في طبعة ١٩٩١م (ويأتي الشرير مكانه).

عدد ١٨ (الشرير فدية الصديق, ومكان المستقيمين الغادر) وقال بهذا المعنى - أيضاً - مزمور٣٤ عدد ١٨ (كثيرة هي بلايا الصديق، ومن جميعها ينجيه الله[٢] يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر, الشر يميت الشرير, ومبغضو الصديق يعاقبون, الرب فادي نفس عبده, وكل من اتكل عليه لا يعاقب).

قول الإنجيل الصريح بنجاة السيد المسيح

وسجل عليهم الجحود بالهدى بعد أن تبين لهم في إنجيل يوحنا إصحاح١٥ عدد٢٢ قال: (لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية, وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم)، وقال في إصحاح٨ عدد٢١: (أنا أمضي وستطلبونني وتموتون في خطيتكم, وحيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا. أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم) وذلك تفسير لما قاله لليهود في إصحاح٧ عدد٣٣ بأنه سيرفع, ولا يمكنهم الوصول إليه, وأكد ذلك للحواريين -أيضاً - في إصحاح١٣ عدد ٣٣ وفي النص المتقدم بين لهم الموضع الذي يذهب إليه وهو غير عالمنا الأرضي, بل هو عالم السماء الذي يعلونا.

---

(١) أشار السيد المسيح لما يحل بالتلميذ الخائن من سوء العذاب في إناجيل: مرقس إصحاح١٤ عدد٢١, وفي لوقا إصحاح٢٢ عدد٢٢, وفي متى إصحاح ٢٦ عدد٢٤ (ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد).ن.

(٢) في طبعة ١٩٩١م جاء النص بعبارة: (ينجيه الرب... الرب فادي نفوس عبيده).

قال إنجيل يوحنا في إصحاح١٦ عدد٢٨ : (خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم, وأيضاً أترك العالم، وأذهب إلى الآب)، وقال بمثل ذلك سفر الأعمال إصحاح١ عدد١ (الكلام الأول أنشأته ياثا وفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به, إلى اليوم الذي ارتفع فيه) ولم يذكر قصة الصلب المبنية عليها الديانة المسيحية.

وقد أخبر السيد المسيح الحواريين بما يكون من شأنهم ساعة الشدة [(١)] وأنه لا يصلب، بل يكون في سلام وأمان, كما قال إنجيل يوحنا في إصحاح١٦ عدد٣٢ ,٣٣ : (هو ذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته، وتتركونني وحدي, وأنا لست وحدي ؛ لأن الآب معي قد كلمتكم بهذا ؛ ليكون فيَّ سلام في العالم) أي أن السيد المسيح أخبرهم بهذا ؛ ليتأكدوا من سلامته من الصلب, قال -تعالى -: ﴿ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ﴾[(٢)] (ولكن ثقوا, أنا قد غلبت العالم) أي أنه انتصر على قوات الشر ونجا بالرفع, قال يوحنا إصحاح١٢ عدد٣٦ : (تكلم

(١) قال مرقس في إصحاح١٤ عدد ٥١ : إن التلميذ الذي كان يحبه ترك إزاره وفر عريانا. وقال لوقا في إصحاح٢٢ عدد٦٠, ومتى في إصحاح٢٦ عدد٧٢ :إن كبير الحواريين -بطرس - أنكره ثلاث مرات، وأقسم على ذلك وفر باكيا. فأين الثقات الذين رووا قصة الصلب؟.ن. وانظر هامش (١) في ص(١١٩) من هذا الكتاب.

(٢) سورة مريم, الآية ٣٣.

يسوع بهذا، ثم مضى، واختفى عنهم) فالويل لمن يكفر بالحق بعد أن تبين الرشد من الغي.

قال إنجيل يوحنا إصحاح١٤ عدد١٩: (بعد قليل لا يراني العالم أيضاً أما أنتم فترونني أني أنا حي) وكرر ذلك في إصحاح١٦ عدد ١٥ وما بعده, وأثبت ذلك أيضاً سفر الأعمال إصحاح١عدد٣ قال: (الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة) وذكر هذه البراهين إنجيل لوقا في إصحاح٢٤ عدد٥ قال: (لماذا تطْلُبْنَ الحي بين الأموات) وفي عدد٣٩ قال: (انظروا يدي ورجلي إني أنا هو, جسوني[1] وانظروا؛ فإن الروح ليس له لحم ولا عظام كما ترون لي) ثم طلب أكلا وأكل أمامهم, لكي يتأكدوا أنه أمامهم بجسمه وروحه ولم يمت, إذ يستحيل على الروح أن تتغذى بنبات أرضي؛ لأنه ليس من طبيعتها, فقد تبلبلت أفكار الحواريين مما لاقوا من خوف وشدة أذهلت عقولهم عن النبوءات والآيات التي أعلمهم بها سيدنا عيسى. فذكرهم بها أيضاً عند ما أقام لهم الحجج والبراهين على عدم صلبه وموته في عدد٤٤[2] (وقال لهم هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير).

---

(١) الجس: المس باليد, كالاجتساس, وجسه بعينه: أحدَّ النظر إليه ليستثبت. انظر مختار الصحاح, وكذلك ترتيب القاموس المحيط, مادة "جس".

(٢) من إنجيل لوقا, إصحاح ٢٤.

وقد أخبر أحبار اليهود عما علموه من كتب الأنبياء والناموس في إنجيل يوحنا إصحاح١٢ عدد٣٤ (نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد) وفي مزمور ٩١ عدد١٦ (من طول الأيام أشبعه، وأريه خلاصي)، وقال بمعنى هذا أيضاً الحواري بطرس في سفر الأعمال إصحاح٣ عدد٢٩ إن السيد المسيح يمكث في السماء حتى يرسل الله محمداً -صلى الله عليه وسلم- ليرد كتب الوحي لأصلها, وهذا نصه:

(فتوبوا وارجعوا؛ لتمحى خطاياكم؛ لكي تأتي أوقات الفرج -أي زمن رسالة محمد رسول الرحمة[1]- من وجه الرب, ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل الذي -أي المسيح- ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء, التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر).

ملحوظة: يقول مزمور٩١ عدد١١, ١٢(لأنه يوصي ملائكته بك؛ لكي يحفظوك في كل طرقك على الأيدي يحملونك؛ لئلا تصدم بحجر رجلك) وأجمعت الأناجيل على هذا القول في متى إصحاح٤ عدد٦,وفي لوقا إصحاح ٤ عدد١٠, وهذا يدل على أن سيدنا عيسى -عليه الصلاة والسلام- ألقي عليه نوم ثقيل جداً لسببين[2]:

---

(١) قال: إن رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- رسالة(خير) أي رحمة, إنجيل يوحنا إصحاح١٦ عدد٧.ن.

(٢) قصر تعليل هذا الحدث العظيم على هذين السببين لا يجوز لما يلي: -

أولهما : حتى لا يذعر ولا يرعب ؛ لأن الرفع أمر عظيم.

ثانيهما : ليعده الله بهذا النوم الثقيل وبعده إلى حياة أخرى سيحياها في عالم ليس فيه ما تقتضيه الحياة في هذه الأرض ؛ وشتان بين عالم السماء وعالم الأرض! فبهذا النوم تجرد إلى حد ما من مطالب الجسم المادي. وهذا الموت الصوري شبيه بالموت الحقيقي في بعض آثاره ؛ لقوله -تعالى -: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾(١)

وهذا النوم هو الذي عبر عنه -سبحانه وتعالى - في قوله: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾(٢).

أ - أن الله له الحكمة البالغة والأمر الرشيد وما خفي من حكمته أعظم مما أحاطت به بريته, وقد يظهر الله بعض خلقه على شيء من حكمته.

ب- أن ما ذكره من تعليل ينقصه الدليل, وإذا خلا التعليل من الدليل فلا اعتبار له.

ج- لا يلزم الباحث استقصاء الأسباب التي ليست في متناول مداركه ؛ بل ارتياد ذلك قول بلا علم وتكلف ما لا يجب.

(١) سورة الزمر, الآية٤٢ .

(٢) سورة آل عمران, الآية٥٥ .

المنارة الحادية عشرة

حكمـــة الرفع

غالى اليهود في تمجيد أنفسهم والمحافظة على كرامة نسلهم, حتى زعموا أن الله إلههم وحدهم، ومن عداهم من المخلوقات ليسوا أهلا للصلة بالله, مصداقا لقوله -تعالى -:﴿ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾[1] قال سفر التثنية

---

(١) الآية ١٨ من سورة المائدة. والادعاء يسير على من لا يلتفت إلى الدليل, وإدعاء محبة الله بضاعة كل دعيّ, وقد امتحن الله كل من ادعى هذه الدعوى ؛ ليتبين الكاذب من الصادق, فقد ادعى اليهود أنهم أولياء الله من دون الناس, كما ادعوا أن الدار الآخرة عند الله خالصة لهم من دون الناس, فأكذبهم الله بقوله : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ سورة البقرة، الآية ٩٤,وقال -جل ثناؤه -: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ سورة الجمعة, الآية٦ .
وادعت اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه, فأكذبهم الله بقوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ ﴾ سورة المائدة, الآية١٨.
وادعت النصارى أن اعتقادهم في المسيح هو الحق, فأظهر الله خبيئة نفوسهم حيث أمر نبيه -صلى الله عليه وسلم - أن يباهلهم، فقال -تعالى -: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ سورة آل عمران، الآية٦١, وادعى

إصحاح٧ عدد٦, وتكرر في إصحاح١٤ عدد٢ (لأنك شعب مقدس للرب إلهك, وقد اختارك الرب؛ لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض), وعدوا من سواهم من الأمم والشعوب أنجاساً, كما قال سفر الأعمال للحواريين إصحاح١٠ عدد٢٨: (أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي ، أو يأتي إليه).

ويشابه اليهود في هذا العمل البوذيون[1] مع المنبوذين, ولكن اليهود جعلوا هذه المعاملة لجميع الأمم والشعوب؛ ولهذا السبب أخفوا البشائر الخاصة بسيد الخلق محمد -صلى الله عليه وسلم -؛ لأنه من غير نسلهم, وكانوا يكذبون كل نبي يبشرهم به, ويقتلونه أنانية منهم.

أقوام= =من هذه الأمة محبة الله, فامتحنهم الله باتباع نبيه محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليتبين المتبع من المبتدع, قال -تعالى -: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ سورة آل عمران, الآية ٣١.

(١) الديانة البوذية فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية, وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية, وقامت على أساس أن " بوذا" ابن الله, ومخلص البشرية من مآسيها - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - وهذه الديانة تدعو إلى إلغاء الطبقية, وأن الناس سواسية.
أما الديانة التي تشرع نظام الطبقات, ويوجد فيها المنبوذون، فهي الديانة البرهمية الهندكية, ويظهر أن هذا اللبس الذي وقع فيه المؤلف بسبب أن كلا من الديانتين: الهندوكية والبوذية من أديان الهند. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة, ج٢, ص ٧٣٤ - ٧٦٨, ومقارنة الأديان - أديان الهند الكبرى, ج٤, ص٣٩, ١٣٧.

أظلمت عقولهم, وجعلتهم الأنانية عباداً للمادة أعداء للروحانيات ؛ لذلك جعل الله خلق سيدنا عيسى وسطا بين الملائكة والناس[1], ليكشف خفاياهم, ويفضح بهتانهم, ويعلمهم بأن رئيس العالم من غير نسلهم, ولن يقدروا على أن ينالوا سيدنا عيسى بأقل أذى لشبهه بالملائكة, فيختفي عندما يريدون البطش به أو قتله, كما قررت ذلك الأناجيل, ففي يوحنا إصحاح٨ عدد٥٩ (فرفعوا حجارة ليرجموه, أما يسوع فاختفى، وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم). وفي إصحاح١٠ عدد٣٩ (فطلبوا أيضاً أن يمسكوه، فخرج من بين أيديهم). ويقول إنجيل لوقا في إصحاح٢٤ عدد١٥, ١٦ أنه أمسك عيون تلميذين من تلاميذه فلم يعرفاه, ولما شاء الظهور لهم في عدد٣١ كشف لهم عن نفسه، فعرفاه، ثم اختفى.

وقد أصر اليهود على كفرهم وعنادهم, فقاوموا ما جاء به من آيات, وما ظهر على يديه من معجزات, وهي أظهر دليل يحمل من شاهده على الإيمان.

وحق لشعب هذا شأنه أن تزول عنه النبوة، ويرفع عنه التكريم.

وقد كان الرفع دليلاً ظاهراً على زوال شرعهم, ورفع النبوة والكرامة عنهم, وليس رفع سيدنا عيسى -عليه السلام - بدعا, فقد رفع من قبل

---

(١) خلقت الملائكة من نور، وخلق آدم -عليه السلام - من تراب, والمسيح - عليه السلام - من ذرية آدم ؛ فهو مخلوق من تراب بكلمة (كن) كما قال - تعالى -:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ سورة آل عمران, الآية٥٩, فهو شبيه بأبيه آدم, وليس خلقاً وسطاً بين الملائكة والناس.

سيدنا إدريس[١] -عليه السلام - وهو المسمى أخنوخ, ففي سفر التكوين إصحاح٥ عدد٢٤ (وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد ؛ لأن الله أخذه) وكذلك غيب سيدنا إلياس المسمى بالعبرية (إيليا) ففي سفر الملوك الثاني إصحاح٢ عدد١١ (وفيما هما يسيران ويتكلمان, إذا مركبة من نار[٢]، ففصلت بينهما، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء).

وقد تنبأ سيدنا زكريا بأن السيد المسيح يكون مماثلاً لسيدنا إلياس, ففي إنجيل لوقا إصحاح١ عدد١٧ (ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته) أي أن سيدنا عيسى مرسل أمام سيد الخلق محمد -صلى الله عليه وسلم - بآيات مماثلة للمعجزات التي صنعها سيدنا إلياس المبينة في سفر الملوك الأول إصحاح١٧ لآخر السفر, وفي سفر الملوك الثاني, كما صنع آيات مماثلة لمعجزات سيدنا عيسى وسيدنا إلياس تلميذه سيدنا إليسع، كما تبين في سفر الملوك الثاني.

أما سيدنا يحيى فلم يرفع إلى السماء مثل سيدنا إلياس, ولم يعمل معجزة واحدة,كما يقول إنجيل يوحنا إصحاح١١ عدد٤١ (فأتى إليه كثيرون، وقالوا بأن يوحنا لم يفعل آية واحدة ؛ ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً).

---

(١) قال -تعالى -: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧ ﴾ سورة مريم, الآيتان٥٦, ٥٧.

(٢) في طبعة ١٩٩١م وردت العبارة هكذا (إذا مركبة من نار وخيل من نار).

الملك المرسل أمام سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم

قدمنا أن خلق سيدنا عيسى كان وسطاً بين[١] الملائكة والناس, وأعده الله بهذه النشأة؛ليكون شبيها بالملائكة، وينجو من اليهود أعداء الأنبياء والروحانيات؛ ليعلموا أن الله على كل شيء قدير.

قالت الأناجيل في متى إصحاح١١ عدد١٠, ومرقس إصحاح واحد عدد٢, ولوقا إصحاح٧ عدد٢٧ : (هذا هو الذي كتب عنه. ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك).

ويفهم من أقوال الأناجيل أن الملك هو سيدنا يحيى لا سيدنا عيسى. والحق الذي لامراء فيه أن الملك المرسل ببشائر شريعة السماء, وأخبار خاتم الأنبياء والمرسلين, هو سيدنا عيسى لقرب شبهه بالملائكة ؛ لثلاثة أسباب[٢] :

---

(١) انظر الهامش رقم (١) ص (١٣٣) من هذا الكتاب.

(٢) انظر الهامش رقم (١) من ص(١٢٨) والهامش رقم (١) من ص (١٣٣) من هذا الكتاب.
وهذا النص اختلف النصارى فيمن يدل عليه, ففريق يرى أنه يدل على يحيى -عليه السلام - وآخر يرى أنه يدل على المسيح -عليه السلام - وهو لا يدل على أي منهما, فيحيى وعيسى -عليهما السلام - نبيان, وليسا ملكين, وليس في هذا النص ما يدل من قريب أو بعيد على هذا الفهم, بل غاية ما يدل عليه أن ملكاً سيرسل لمهمة محدودة، إذا فكيف التوفيق بين هذا النص وما فهمه منه هؤلاء؟ فأقول: إما أن يكون على ظاهره، فهو يدل على أن ملكاً سيرسل لغرض محدد ؛ وإذا كان ذلك كذلك, فهو لا يدل على بعثة يحيى بين يدي المسيح -عليهما السلام - كما لا يدل على مجيء عيسى مبشراً بمحمد -صلى الله عليه وسلم - وقد يكون النص يدل على إرسال جبريل -عليه السلام - إلى محمد -صلى الله عليه وسلم - مؤيداً ومبلغاً.

أولاً: لأن سيدنا عيسى خلق من مريم فقط كما قدمناه, وبهذا يكون خلقه أقرب إلى الملائكة وأشبه بهم من سيدنا يحيى.

ثانياً: لأن سيدنا عيسى ظهر في عدة صور مثل الملائكة, وشابههم أيضاً في الاختفاء والظهور.

ثالثاً: _وقد ارتفع سيدنا عيسى للسماء ،وعاش فيها، وصار مثل سكانها الملائكة. قال مزمور٩١ عدد١٦ :(من طول الأيام أشبعه)، وقال إنجيل يوحنا إصحاح١٢ عدد٣٣:(نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد) والمراد بالأبد: العمر الطويل,لا الدوام ؛ لقوله -تعالى -: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[1] وقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾[2].

وعلى ذلك يكون الملك الذي يسبق سيد الرسل، وهو سيدنا عيسى, ويكون خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً -صلى الله عليه وسلم -.

وبهذا ينتفي ما زعمه المنكرون من أن الملك سيدنا يحيى.

إخبار السيد المسيح بما يكون بعده من فتنة وضلال

حذر -عليه السلام - المؤمنين به، فقال في إنجيل متى إصحاح٧ عدد١٥ : (احترسوا[3] من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان, ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة)، وأكد لهم وقوع الفتنة والضلال من بعده, فقال إنجيل لوقا إصحاح١٧ ، وإنجيل متى إصحاح١٨ عدد٧: (ويل للعالم من العثرات، فلا بد أن تأتي العثرات. ولكن ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة). وبين ذلك، ووضحه إنجيل مرقس

---

(١) سورة القصص, الآية ٨٨.

(٢) سورة آل عمران, الآية ١٨٥.

(٣) في طبعة ١٩٩١م جاءت هذه العبارة هكذا: احترزوا.

إصحاح ١٣ عدد ٦ ,٢٢,ومتى إصحاح ٢٤ عدده قال: (فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح، ويضلون كثيرين) وفي عدد ١١ قال: (ويقوم أنبياء كذبة كثيرون، ويضلون كثيرين)، وفي عدد٢٤، قال : (لأنه سيقوم مسحاء كذبة, وأنبياء كذبة, ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا - لو أمكن - المختارين - أيضاً - ها أنا قد سبقت، وأخبرتكم).

وقرر الحواريون وقوع الفتنة، فقال بطرس الحواري[١] الأكبر في رسالته الثانية إصحاح٢: (ولكن كان -أيضاً - في الشعب أنبياء كذبة, كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة, الذين يدسون بدع هلاك)[٢] وتجد في باقي الإصحاح ذما لأولئك الكذبة, فقال في عدد٢١: (لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر, من أنهم بعد ما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم, قد أصابهم ما في المثل الصادق: كلب قد عاد إلى قيئه, وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة) وقال يوحنا الحواري -أيضاً - في رسالته الأولى إصحاح٤: (أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح، هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم. بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد، فهو من الله)[٣].

---

(١) انظر الهامش رقم (٢) في ص٨٢ من هذا الكتاب.

(٢) رسالة بطرس الثانية عدد١.

(٣) هذا النص -كغيره من نصوص أهل الكتاب - يشهد للمسيح بالبشرية والرسالة, وينفي عنه الإلهية, بل ويقيم لهم معياراً وضابطاً يميزون به بين دعاة الحق وأدعياء الباطل, فكل من اعترف أن المسيح رسول وأنه بشر, فهو داع إلى الحق, حيث تضمن النص الاعتراف بيسوع، وأنه جاء من الجسد, فهي إشارة إلى الرسالة والبشرية, ويدل النص بمفهومه على أن كل من دعا إلى خلاف ذلك فهو كاذب، وليس من الدعاة إلى الله.

الهذيان والتغرير
أو تحريف الكلم عن مواضعه

قدمنا أن المسيح -عليه الصلاة والسلام - قد أخبر بما يكون بعده من فتنة وضلال, وقد كان اليهود كذلك من قبل سيدنا عيسى وفي زمانه يبدلون في التوراة, وبعد أن رفع سيدنا عيسى -عليه السلام - تمادوا في طغيانهم، وأمعنوا في ضلالهم وإضلالهم.

ومن عجيب ما صنع اليهود أن أثيماً منهم اسمه شاول[١] (شالوم) حارب المسيحية, فقتل المؤمنين, وآذى الحواريين, ولما لم يقض على النصرانية بهذا الاضطهاد, ولم يفلح في رد المؤمنين عن الحق الذي آمنوا به, عمد إلى حيلة تمكنه من هدم الدين من أساسه والقضاء عليه, فتظاهر[٢] بأنه من أتباع المسيح، وتسمى بولس, وجعل يضلل الناس في عقائدهم, كما جاء في سفر الأعمال إصحاح٩ عدد٢٠(وللوقت جعل يكرز -أي يعظ - في المجامع بالمسيح بأن هذا هو ابن الله)

(١) انظر الدراسة التي أعدها عن هذا الموضوع د. محمد أحمد ملكاوي بعنوان (اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية)، وانظر أيضاً أثر بولس في تحريف شعائر النصرانية وإبطال شرائعها - الدراسة التي أعدها د.عبد الله بن عبد العزيز الشعيبي بعنوان (المسيح عيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة) من ١٧٤ وما بعدها.

(٢) وهذه الحيلة الخبيثة تماثل ما فعله عبد الله بن سبأ اليهودي من تظاهره بالإسلام ؛ ليكيد له وللمؤمنين به.ن.

وزيادة في إغواء الناس وتضليلهم ادعى أن ما يحدّث به تلقاه عن المسيح برؤية[١] ذكرها في سفر الأعمال ثلاث مرات إصحاح٩, ٢٢, ٢٦, وذكرها في كثير من رسائله مفتخراً بها، كما قال في رسالة غلاطيه إصحاح١ عدد١١ (وأعرفكم -أيها الإخوة - أن الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان ؛لأني لم أقبله عن إنسان ولا عُلِّمته، بل بإعلان يسوع المسيح).

فوصف السيد المسيح -عليه السلام - بأنه ابن الله أولاً - ثم نفى عنه كونه إنساناً ثانياً - وكلامه يشهد عليه بالكذب ؛ لأنه لم يجتمع بالسيد المسيح حتى يتلقى عنه, بل ولم يجتمع بالحواريين إلا بعد ثلاث سنين ؛ ليتعرف بهم, ومكث خمسة عشر يوماً اتصل فيها ببطرس والحواري يعقوب فقط, وبعد أربع عشرة سنة لما ذاعت تعاليمه المغايرة لتعاليم السيد المسيح -عليه السلام - دعوه ليحاجوه, ويقضوا على الفتنة في مهدها[٢]، فحضر مع برنابا[٣] قال إصحاح٢ عدد٢ : (إنما صعدت بموجب إعلان، وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم, ولكن بالانفراد على المعتبرين)[٤]، والمعتبرون هم الحواريون تلاميذ سيدنا عيسى -عليه الصلاة والسلام - ولكنه ندد بهم وكذبهم في عددي٤, ٥,قال: (الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة)، ثم تابع تهجمه على الحواريين في عدد ٦ فقال: (وأما المعتبرون أنهم

---

(١) أي منام.

(٢) ذكر ذلك في رسالة غلاطيه إصحاح٢ : ٢.ن.

(٣) أثبت سفر الأعمال في إصحاح١٥ عدد٣٩ أن بولس تشاجر مع برنابا.ن.

(٤) رسالة بولس إلى غلا طية ٢, ٢.

شيء - أي أنهم تلاميذ المسيح - مهما كانوا لا فرق عندي, الله لا يأخذ بوجه إنسان) وجهر بمعاداة خليفة السيد المسيح -بطرس[1] - في إنطاكية لما حصل بينهما من خلاف في اجتماع أورشليم في عدد١١ قال: (ولكن لما أتى بطرس إلى إنطاكية قاومته مواجهة؛ لأنه كان ملوماً) وفي عددي١٣, ١٤ رماه ومن معه من الحواريين بالرياء والزيغ فقال: (وراءى معهم باقي اليهود -أيضاً - حتى إن برنابا -أيضاً - انقاد إلى ريائهم. لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع: إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميا لا يهودياً, فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟). ثم عمد إلى تشكيك الناس في كل ما اعتقدوه من الإيمان بسيدنا عيسى -عليه السلام - واتباع خليفته بطرس المدعو بالعبرية -صفا - وتهكم باتباع (آبلوس) تلميذ سيدنا يحيى - الذي قال عنه سفر الأعمال في إصحاح١٨ عدد٢٥: (كان هذا خبيراً في طريق الرب - إلى أن قال - ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفا معمودية يوحنا فقط).

يقول بولس في رسالته الأولى لأهل كورنتس متهكما بمن ذكرنا إصحاح١ عدد١٢, ١٣: (فأنا أعني هذا أن كل واحد منكم يقول: أنا لبولس وأنا لأبلوس، وأنا لصفا، وأنا للمسيح. هل انقسم المسيح؟ ألعل بولس صلب لأجلكم أم باسم بولس اعتمدتم؟) - وقال يهذي في عدد١٨: (فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة, وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله).

---

(١) انظر هامش رقم (٢) في ص (٨٢) من هذا الكتاب.

وبهذه المناسبة نقول للذين يؤمنون بالصليب: إن الحواريين بطرس ويوحنا ويعقوب ويهوذا لم يذكروا أبداً في رسائلهم كلمة صليب.

لم يكتف بولس بهذا، ولكن ادعى الرسالة, قال في رسالته الأولى لأهل كورنتس إصحاح٩ عدد ١:(ألست أنا رسولاً؟ ألست أنا حراً؟ أما رأيت يسوع المسيح ربنا؟ ألستم أنتم عملي في الرب؟).

وقال مقارنا نفسه بحواري السيد المسيح في رسالته الثانية لأهل كورنتس إصحاح١١ عدد٤: (لأني أحسب أني لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل, وإن كنت عامياً في الكلام، فلست في العلم, بل نحن في كل شيء ظاهرون) ثم تهجم على تلاميذ المسيح فقال في عدد١٢: (ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا كما نحن أيضاً في ما يفتخرون به؛ لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فَعَلَة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح) لم يكتف بهذا النيل منهم، ولكنه فضل نفسه عليهم، فقال في عدد٢١, ٢٢, ٢٣: (على سبيل الهوان أقول: كيف أننا كنا ضعفاء, ولكن الذي يجترئ فيه أحد أقول في غباوة أنا أيضاً أجترئ فيه. أهم عبرانيون؟ فأنا أيضا. أهم إسرائيليون؟ فأنا أيضاً. أهم نسل إبراهيم؟ فأنا أيضاً. أهم خدام المسيح؟ أقول كمختل العقل فأنا أفضل. في الأتعاب أكثر. في الضربات أوفر. في السجون أكثر. في الميتات مرارا كثيرة)، وتغالى بعد ذلك حتى فضل نفسه على السيد المسيح, فبينما يقرر أن سيدنا عيسى -عليه السلام - رسول خاص يدعي أنه هو قد بعث رسولاً عاما, يقول بولس في رسالته لأهل غلاطية إصحاح٢ عدد٤:[1] (فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيّ أيضاً للأمم) يعني أن بطرس خليفة

---

(١) الصواب أن رقم هذه الفقرات في الإصحاح: ٢ : ٨.

سيدنا عيسى رسالته لليهود فقط - أهل الختان - أما هو فرسالته إلى الأمم جميعاً, مع أن سيدنا عيسى قرر أنه لم يرسل إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة.

ثم انقلب بولس يحارب الحواريين والمؤمنين, فقال في رسالته لتيطس إصحاح١ عدد١٠ : (يوجد كثيرون متمردون[١] يتكلمون بالباطل، ويخدعون العقول. ولا سيما الذين من الختان الذين يجب سد أفواههم. فإنهم يقلبون بيوتاً بجملتها معلمين ما لايجب) - والعجيب أن يتنكر بولس للختان[٢] وأهل الختان ولرسالته, مع أن سفر التكوين جعله عهدا. جاء في إصحاح١٧ عدد١٠ (وهذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهدي بيني وبينكم, فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدي) والمخاطب هنا هو سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام -.

ولما رأى الناس يوم ذاك من بولس هذا التناقض والتطاول والزيغ ؛ كفروا به، وارتدوا عنه, وقرر بولس نفسه أن أهل آسيا جميعاً كذبوه, ولم يتبعه أحد من أهل البلاد الشرقية, ونص على ذلك في رسالته الثانية لتيموثاوس ـ أحد أتباعهـ إصحاح١ عدد١٥ قال : (أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني) - ولكن البلاد الغربية خدعت بزخرف قوله, ومن هنا نستطيع أن نفهم سر العداء بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية, وأن نفهم كذلك سبب اضطهاد الرومان للأقباط, وحرقهم الأديرة والمخطوطات, وقتلهم

(١) في طبعة١٩٩١ م وردت هذه الكلمة : متمردين.

(٢) انظر كتاب : المسيح عيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة.

البطارقة والأساقفة والرهبان, حتى سمى عصرهم بعصر الشهداء, وبذلك عمت تعاليم بولس الشرق والغرب.

قول التوراة والزبور والإنجيل بوقوع التحريف والتبديل[(١)]

قال مزمور٤ عدد٢ : (يا بني البشر حتى متى يكون مجدي عارا, حتى

(١)أخبر الله -سبحانه وتعالى - أن أهل الكتاب يحرفون الكتاب، ويكتبونه بأيديهم، ويقولون هو من عند الله, قال -جل ثناؤه -: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ سورة البقرة, الآية ٧٩, وقال -تعالى ذكره -: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ سورة النساء, الآية ٤٦,وقال - تعالى -:﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ﴾ سورة المائدة, الآية ٤١, وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ سورة آل عمران, الآية٧٨, وهذا الأمر ـ أعني تحريف أهل الكتاب لكتبهم ــ أصبح من المسلمات، ولا ينكره إلا مكابر, فقد اعترف به المحققون منهم, كما شهد به المسلمون من أهل الكتاب, وسجل ذلك عليهم المحققون من علماء المسلمين, من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية, وتلميذه ابن القيم, والقرافي, ورحمة الله الهندي وغيرهم, كما يدلل على ذلك الطبعات المتجددة المتعددة المتغايرة لكتابهم المعتمد, وكذلك الاختلاف الفاضح بين محتويات الكتاب المعتمد لدى الكاثوليك عن الكتاب المعتمد لدى البروتستانت إذ تبلغ عدد أسفار الكتاب لدى الكاثوليك ٧٣ سفراً ,بينما تبلغ لدى البروتستانت ٦٦ سفراً ,بل حتى إن مقدمات هذه الأسفار والأناجيل المدونة في فواتحها تؤكد على ذلك, ولا يخلو من ذلك حتى التعريفات الموجزة بهذه الكتب في المعاجم المصنفة في هذا الشأن, ولمزيد من التحقق والبراهين انظر مصنفات مسلمي أهل الكتاب على سبيل المثال: إفحام اليهود، للمهتدي السمؤل، ص ١٣٥ - ١٣٩, والقرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم, للمهتدي موريس بوكاي، ص٢٠ - ٣٠, ومحمد في الكتاب المقدس, للمهتدي عبد الأحد داود، ص٦٢, والإنجيل والصليب, للمهتدي عبد الأحد داود، ص ١١٥, ومحمد في التوراة والإنجيل والقرآن, للمهتدي إبراهيم خليل، ص ٣٣ , وتحفة الأريب, للمهتدي الترجمان، ص ١١٥, وسر إسلامي, للمهتدي الهاشمي، ص ٤٣ - ٤٤.

متى تحبون الباطل، وتتبعون الكذب) وفي مزمور٥٦ عدد٥ : (ماذا يصنعه بي البشر, اليوم كله يحرفون كلامي)، وقال سيدنا إشعياء في إصحاح٣٠ : (ويل للبنين المتمردين يقول الرب, حتى إنهم يجرون رأيا وليس منى, ويسكبون سكيبا وليس بروحي, فيزدادوا خطية على خطية)[١] - وفي عدد٩ يقول : (لأنه شعب متمرد, أولاد كذبة, أولاد لم يشاؤوا أن يسمعوا شريعة الرب) ويقول سيدنا إرميا في التوراة إصحاح٨ عدد٨ :(كيف تقولون: نحن حكماء وشريعة الرب معنا؟حقاً أنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب)، وقال أيضاً في إصحاح٢٣ عدد ٣٦ : (أما وحي الرب فلا تذكروه[٢] ؛ لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه, إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا)، وقال سيدنا زكريا (في) إصحاح٧ عدد١١, ١٢ :(فأبوا أن يصغوا، وأعطوا كتفا معاندة, وثقلوا آذانهم عن السمع, بل جعلوا قلبهم ماسا؛ لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين، فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود)، وقال إنجيل متى إصحاح١٥ عدد٥ وإنجيل مرقس إصحاح٧ عدد ٧ : (وباطلاً يعبدونني، وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس).

لمحة تاريخية :

اقتصرنا في هذا الباب وما تقدمه على النصوص الموجودة بالكتب فقط ؛لأننا لو رجعنا لبطون التاريخ ولأقوال المفسرين لاتسع المجال، وطال المقال.

---

(١) إشعيا ٣٠ : ١.

(٢) في طبعة ١٩٩١ م جاء النص بزيادة بعد: فلا تذكروه بعد.

في سنة٧٦٠ قبل الميلاد قامت معركة دموية بين السامريين وبين مملكة يهوذا, انتصر فيها السامريون لكثرتهم, إذ كانوا عشرة أسباط, وأحرقوا توراة سبطي يهوذا لمخالفتها لتوراتهم.

وفي سنة ٧٢١ ق. م. استولى ملك أشور على السامرة، وسبى عظماءها, أثبت ذلك سفر الملوك الثاني إصحاح١٧, ١٨ بعد ما حاصرهم ثلاث سنين أجلاهم فيها عن بلادهم, وهدم هياكلهم, وحرق ما بها من كتب.

وفي سنة ٦٠٥ حاصر نبوخذ نصر - ملك بابل - أورشليم في أيام يهوياكين ملك يهوذا، وسباه هو ونساءه وبنيه, وأخذ أواني الذهب وكتاب الرب، نص على ذلك سفر الملوك الثاني إصحاح٢٤.

وفي سنة٦٠٣ ق. م. حاصر أورشليم، وأحرقها بما فيها من هيكل وتوراة وأوان مقدسة, وسبى صدقيا الملك، وقتل أولاده, ثم قلع عينيه, وأخذ الكهنة والأواني والمجامر, كما قال بذلك إصحاح٢٥. أبعد كل هذا يقول قائل بصحة كتابهم؟.

ووقع الاضطهاد والحرق والقتل والهدم للنصرانية -أيضاً - مثل اليهود في حكم نيرون, بالأخص في حروب ديوكليتيانوس مع المسيحيين, لأن الإمبراطور يوليوس قيصر أمر بحرق جميع كتب المسيحية وأوراقها.

وقد حذف فرق البروتستانت وأشياعهم خمسة أسفار من كتاب العهد القديم، وجاء بكتابهم المسمى(البينات الوافية والبراهين الثاقبة) المطبوع في عصر البطريرك كيرلس الخامس, وهذا نصه: (إننا نرى كلام الإنجيل لا يحوي كل الحقائق كما هو ظاهر, فيصرح البروتستانت أن الأسفار منها لازمة لتحوي تعليما كافياً, فهذا لا يمكنهم أيضاً إثباته؛ لأن أسفاراً كثيرة فقدت من الأسفار المقدسة القانونية, ولم تبلغ إلينا, وذلك ظاهر جلي من ذات الأسفار المقدسة؛

لأنه جاء في سفر الملوك الأول إصحاح٤ عدد٢٢ (أن سليمان تكلم بثلاثة آلاف مثل، وكانت نشائده آلفا وخمسا).

ويكفي في إثبات التحريف والتبديل لكل ذي عقل سليم, ما نسبته التوراة إلى كبار الأنبياء والمرسلين, من معاصي وكبائر تجعلهم في مصاف الفاسقين الفاجرين, فنسبوا السكر والزنا إلى سيدنا لوط[١]، والزنا ليهوذا جد أنبياء بني إسرائيل, وأن سيدنا هارون صنع العجل, وأمر بعبادته قائلاً : (غدا عيد الرب)، [٢] ونسبوا أيضاً الزنا والقتل غدراً وغيلة إلى سيدنا داود[٣]، وأن سيدنا سليمان بنى معابد الأصنام، وعبدها في آخر أيامه[٤]. أما الإنجيل فلم يجعل لأحد من الأنبياء والرسل كرامة, كما يقول إنجيل يوحنا إصحاح١٠ عدد ٨(جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص).

ولو ثبت ذلك لجاز الكذب في خبر الله, وانقلبت المعصية طاعة, والهداية ضلالاً, وهو مستحيل عقلا وشرعا.

بل لم يسلم المسيح نفسه -أيضاً - من تجريح الإنجيل, فنسبوا له عقوق الوالدين، وجعلوه من أولاد (فارص) كما قال إنجيل متى في إصحاح١ عدد٣, وفارص هذا ابن زنا, كما صرح بذلك سفر التكوين إصحاح٣٨ عدد١٦, ٣٩.

أما الإسلام فينزه الأنبياء والرسل الكرام عن هذا النقص الشائن والعيب الذي لو نسب إلى أحط الطبقات لكان خزيا وعاراً.

---

(١) قال بذلك سفر التكوين إصحاح١٩ عدد٣١, ٣٨.ن.

(٢) سفر الخروج إصحاح٣٢ عدد٢, ٦. ن.

(٣) سفر صموئيل الثاني إصحاح١١ عدد٢, ١٦. ن.

(٤) سفر الملوك الأول إصحاح ١١ عدد ٤, ١١. ن.

المنارة الثانية عشرة
أدلة حفظ القرآن من أقوال الجن والكهان

شاء الله أن يختم الرسالات بخاتم المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم -, وأن تدوم شريعة الإسلام وتبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ ولهذا تكفل -سبحانه - برعاية كتابه الكريم, فقال -جل وعلا -: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[1] وحرسه من عبث الجن, وقد كانوا قبلا يصعدون إلى السماء, فيسترقون السمع, ثم يحدثون الكهان بما سمعوا, فيضيف الكهان إلى وحي شياطينهم ما تمليه عليهم أهواؤهم.

كل ذلك كان قبل بعثة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم - فلما أرسله الله عزلت الشياطين عن السمع: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ ﴾[2].

والقرآن الكريم يحكي لنا حالهم أولاً وآخراً, فيقول: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ ﴾[3].

ونفى -سبحانه - أن يكون القرآن قد مسه شيء من عبث الجن فقال: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢ ﴾[4]

(١) سورة الحجر, الآية ٩.
(٢) سورة الصافات ,الآيتان٨, ٩.
(٣) سورة الجن ,الآيتان٨, ٩.
(٤) سورة الشعراء, الآيات ٢١٠ - ٢١٢.

حكمة رجوع سيدنا عيسى إلى الدنيا لينال تمام حقه الأوفى

لما كانت سنة الله في المرسلين أن يؤيدهم بالنصر المبين على أعدائهم الكافرين بالآيات البينات والمعجزات الباهرات؛ ليتبعوا أقواله، وينفذوا أحكامه, اقتضت سنته إذا كفروا بالآيات, وأمعنوا في الكيد والإيذاء لرسوله وللمؤمنين به, أن ينزل الله بهم عذابه, ويحل عليهم سخطه وعقابه, فيهلكهم في الدنيا؛ ليقر بذلك عين الرسول, ويثلج صدور المؤمنين, وترتاح قلوبهم بهلاك المفسدين, ويرثوا الأرض من بعدهم, فيزداد إيمانهم, ويقوى يقينهم، قال - تعالى - :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾[١].

وهكذا يوفي الله سيدنا عيسى حقه، وينزله إلى الدنيا في آخر الزمن عند ضعف الأمة المحمدية لانصرافها عن روح الدين والعمل بكتاب رب العالمين, فيرجعها إلى ما كانت عليه من قوة اليقين في عصر سيد المرسلين.

قال -تعالى - :﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[٢]

(١) سورة إبراهيم, الآيتان١٣, ١٤.

(٢) سورة التوبة, الآية ٣٢.

قالت الأناجيل مخبرة عن نزول سيدنا عيسى إلى الدنيا في آخر الزمن في إنجيل متى إصحاح٢٤ عدد٣٠,وفي مرقس إصحاح١٣ عدد ٢٦, وفي لوقا إصحاح٢١ عدد٢٧ (وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد)، وقال -أيضاً - سفر الأعمال في إصحاح١ عدد١١: (إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء).

ورد الله على المبطلين القائلين بالصلب, ومعلما لهم بالرفع مدللا لهم على صحة ذلك برجوع سيدنا عيسى إلى الدنيا, وعند نزوله يؤمن بهذا القول من يكون في ذلك الزمن من اليهود والنصارى, ويكون الدين كله يومئذ لله, قال -تعالى -:﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[1]

قال -صلى الله عليه وسلم - مؤكدا رجوع سيدنا عيسى إلى الدنيا في رواية سيدنا أبي هريرة: (ليهبطن الله عيسى ابن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا, يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يجد من يأخذه[2], وليسلكن الروحاء حاجا أو معتمرا أو يدين بهما)[3]، وعنه -أيضاً - قال: (الأنبياء إخوة من علات, أمهاتهم شتى، ودينهم واحد, وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي, وأنه خليفتي

(١) سورة النساء, الآية١٥٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء, باب نزول عيسى ابن مريم -عليهما السلام - ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان, حديث١٥٥.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده, جـ ٢, ص٢٤٠, ٢٧٢ , ٥٧٣ ,ومسلم في صحيحه في كتاب الحج, حديث ١٢٥٢.

على أمتي, وأنه نازل, فإذا رأيتموه فاعرفوه, فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض, سبط الشعر, كأن شعره يقطر، وإن لم يصبه بلل, ويقاتل الناس على الإسلام, حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها, ويهلك في زمانه مسيح الضلال الكذاب)[١].

وروى الشيخان (أنه ينزل قرب الساعة, يحكم بشريعة النبي -صلى الله عليه وسلم - ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية)[٢]

وقد خص الله الأمة المحمدية بمزيد عنايته وجميل رعايته, فأرسل سيدنا عيسى أولاً بأخبارها, ثانياً أيدها بنصرته في آخر الزمن على دول الكفر, وقد أكرمها الله، فجعلها آخر الأمم وأولها مبعثاً[٣]، كما قال السيد المسيح بذلك في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده,جـ ٢, ٤٠٦, وأبو داود في كتاب الملاحم, باب خروج الدجال, جـ ٤ ص٤٩٨ , والحاكم ٥٩٥/٢ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي, وقال ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم : وهذا إسناد جيد قوي, ص٩٦.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء, باب نزول عيسى ابن مريم -عليهما السلام - ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان, حديث١٥٥ واللفظ له، عن أبي هريرة -رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قال: (كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم, فأمّكم منكم) فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري, عن نافع , عن أبي هريرة: (وإمامكم منكم) قال ابن أبي ذئب: تدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم -تبارك وتعالى - وسنة نبيكم، صلى الله عليه وسلم.

(٣) قال -صلى الله عليه وسلم -: (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة, بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم, فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة، حديث٨٥٥.

إنجيل متى إصحاح٢٠ من أوله إلى عدد١٦ : (هكذا يكون الآخرون أولين، والأولون آخرين). وخصها الله برحمته خلاف من سبقها من الأمم, فقال - تعالى -: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (١) جعلنا الله ممن اتبع أحكام كتابه المنير, وهدانا الله لنوره الظاهر, وجمع لنا به خيري الدنيا والآخرة, إنه على كل شيء قدير, وصلى الله على خاتم النبيين وإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين عدد كل معلوم لك، يا رب العالمين.

اللهم أحينا على ملته, وابعثنا على دينه, واسقنا من حوضه, واحشرنا تحت لوائه, اللهم آمين.

محمد زكي الدين النجار بطهطا

((تمت بعونه -سبحانه وتعالى - في ٢٧ محرم سنة ١٣٦٩ هجرية))

(١) سورة الأعراف, الآيتان ١٥٦, ١٥٧.

تقـــديـم(*)

بقلم صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ

محمد أحمد العروسي

شيخ معهد الملك فاروق الأول بقنا

يقدر المرء في هذه الحياة الدنيا بما ينتج من عمل يعود بالفائدة على المجتمع في ناحية من نواحيه العامة الهامة, وقد كان صاحب هذا المؤلف يدين بالدين المسيحي ومن أبوين مسيحيين, محترفا صناعة النجارة, شغوفا بالبحث في الكتب السماوية القديمة, يكثر من تلاوة القرآن الكريم, ويتدبر آياته التي تنفي أو تثبت ما جاء في هذه الكتب, أعانه على ذلك اختلاطه ببعض متعلمي بلده من أهل العلم والمعرفة, وأخذت ملكة البحث هذه تزداد عنده، وتنمو حتى استولت منه على كل تفكيره, وكادت تقطعه عن عمله الصناعي، لولا أن تداركه الله بلطفه، فنفذت بصيرته, وهداه إلى اعتناق الدين الإسلامي بعد الاقتناع المبني على قوة الدليل واستنارة البصيرة, فهدأت نفسه واطمأن قلبه.

ولقد راجع المؤلف في بحوثه كل ما وصلت إليه يده من الكتب السماوية القديمة على اختلاف طبعاتها ورواياتها، فكان في ذلك فريد إخوانه، إذ تقدم بكتابه هذا، وهو عصارة ذهنه وثمرة مجهوده إلى ذوي الرأي المستقل والفكر السليم, وإني لأرجو أن ينتفع به كل من يعنى بالحقيقة المجردة بعيداً عن العاطفة القومية والتعصب الديني.

١٥ من المحرم سنة ١٣٦٩هـ **محمد أحمد العروسي**

(*) ورد هذا التقديم في الطبعة الأولى من الكتاب بعد الفهرس ؛ فلذا أوردته في آخر الكتاب.

تقـديـم(*)

بقلم الأستاذ محمد علي عايد خريج كلية اللغة العربية

عرض علي الأستاذ محمد زكي الدين النجار رسالته القيمة "المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة" - فوجدتها جديرة بأن تنشر في العالم كله لا في العالم الإسلامي فحسب,وهي أول رسالة تعرضت لمعتقدات دان بها قوم حينا من الدهر -ولا يزالون - فبينت ما فيها من أوهام وضلالات, ولا يستطيع أن يدفع باطل قوم، ويرد زيفهم كمن خبرهم عن قرب, واطلع على ما يهيمون بحبه زمناً طويلاً, يصاحب ذلك قلم جريء في الحق, لا يخاف في الله لومة لائم, وهذا ما تجمع للشيخ محمد زكي الدين, فساق الدليل تلو الدليل, وكان مثله في كل ما يسوقه من البراهين القاطعة والحجج الدامغة ـ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ـ وقد أزهق باطلهم, ولم يترك طريقاً للمحاجة إلا قطعه عليهم, أو بابا للمناظرة إلا أوصده دونهم وأحكم إغلاقه, فبهت الذي كفر.

وكنت أتشرف بعرض مقدمة أوفى لهذه الرسالة العظيمة الجديرة بالتقدير والإعجاب؛ لولا أن صاحبها قدمها لقرائه شارحاً الغرض منها والظروف التي لابست تأليفها.

وإن شأنها بين الكتب الدينية لا يقل خطراً عن شأن القنبلة الذرية بين معدات الحرب وأدوات القتال, وسيكون وقعها أشد وأنكى على المعاندين الذين يقولون سمعنا وعصينا.

وأسأل الله أن يكون لها النتيجة المرجوة، فيهدي الله قوما, ويشفي صدور قوم مؤمنين.

محمد علي محمد عايد

١٢ محرم سنة ١٣٦٩هـ   مدرس بمدرسة أمبابة الابتدائية الأميرية

(*) ورد هذا التقديم في الطبعة الأولى من الكتاب بعد الفهرس ؛ فلذا أوردته في آخر الكتاب.

ستظهر إن شاء الله

الكتب الآتية للمؤلف (*)

١ - منقذ الإنسانية من نير العبودية.

٢ - قانون الحياة ودستور الخلود.

"ينير الطريق للسالكين، ويهدي الناس إلى الصراط المستقيم"

٣ - فوهة المسدس في قلب الكتاب المحرف.

٤ - الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الأقانيم.

٥ - رد فرية المبشرين في حديث الغرانيق، وزواج السيدة زينب بسيد المرسلين.

٦ - هداية الناشئين في تعلم مبادئ الدين.

٧ - معجزات محمد - صلى الله عليه وسلم - في القرن العشرين.

(*) أورد المؤلف أسماء هذه الكتب في آخر الكتاب فذكرتها هنا كما وردت.

فهرس الموضوعات

ثانياً: